بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٢٣ ـ ربيع الثاني ١٤٣٠هجرية قمرية

فروردين ١٣٨٨هجرية شمسية / نيسان (ابريل) ٢٠٠٩

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: ٨٨٣٢١٦١٦ +٩٨٢١هاتف: +٩٨٢١ ٨٨٣٢١٤١١

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥-١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الموقــع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ ـ ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٢٣

رسائل القرآن ٤

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي ١٤

آفاق التواصل مع الآخر ومبادئه ٢١

مبدأ المعاد يوحدنا ٣٦

الاختلاف في الاجتهاد ليس مبررا للإرهاب الفكري ٤٦

هتك الحجب ٥٥

إيران –العراق /بمناسبة ذكرى سقوط الطاغية ٧١

إيران – نظام صدام /بمناسبة سقوط الطاغية ٧٦

العراق – الفتنة الطائفية/بمناسبة سقوط الطاغية ٨٠

سلاح الطائفية في وجه المقاومة ٨٦

الأمل بتوحد المسلمين لا في كلام أوباما ٨٩

فتوى الشيخ محمد شلتوت / لتذكير الشيخ القرضاوي ٩٣

تقرير عن المؤتمر الدولي الثاني والعشرين للوحدة الإسلامية/١ ..... ١٠٣

رسائل القرآن

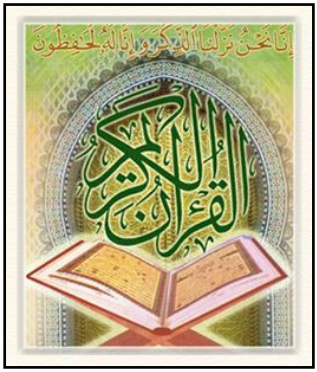

بسم الله الرحمن الرحيم

محسن قراءتي*

٨٧ -﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾

الرسائل:

● الآية تعرض استمرار العناية الإلهية بعباده. بعد موسى(ع) توالى إرسال الرسل: داود.. سليمان.. يوشع.. زكريا.. يحيى عليهم السلام، وبعدهم أرسل عيسى(ع) بالدلائل الواضحة وأيّده بروح القدس (جبرائيل)، لكن بنوإسرائيل كانوا على مرّ العصور

* ـ داعية إسلامي معروف.

مستكبرين متعالين متعنّتين، فقد واجهوا الأنبياء بالتكذيب والقتل.

● استعراض تاريخ الأنبياء وما عانوه من عنت واضطهاد يخفّف أعباء طريق ذات الشوكة على نبي الإسلام(ص) والمؤمنين.

● هداية ربّ العالمين لا تنقطع عن البشرية فهي متواصلة إما بتوالي الأنبياء أو بالرسالة الخاتمة الخالدة.

● طريق الكمال الإلهي لا ينطلق من أهواء النفس: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ﴾

● الانجرار وراء هوى النفس يؤدي إلى الاستكبار: ﴿لا تهوى أنفسكم استكبرتم﴾

● ويؤدي أيضا إلى ارتكاب افظع الجرائم مثل تكذيب الانبياء، بل قتل الأنبياء: ﴿ففريقًا كذّبتم وفريقًا تقتلون﴾، كما أن الآية توضّح مدى ما قدّمه الأنبياء من تضحيات جسيمة على طريق الدعوة، تصل إلى تقديم النفس.

٨٨ -﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللّه بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾

الرسائل:

● المعاندون يلجأون دائمًا إلى هذا اللون من الاستهزاء بقولهم: ﴿قلوبنا غُلف﴾ أي أنها مغلّفة بحيث لا يدخل إليها نداء، وهذا نوع

من تيئيس صاحب الدعوة، وهكذا قال قوم شعيب: ﴿قالوا: يا شُعيب ما نفقه كثيرًا مما تقول...﴾ وقال المشركون لنبينا(ص): ﴿وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه..﴾

● هذه الحالة من العناد أمام الحقّ هي مظهر لعنة ربّ العالمين على هؤلاء، وهي لعنة ناتجة عن انغماسهم في الكفر: ﴿بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون﴾

٨٩ - ﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّه عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

الرسائل:

● هذه الآية تعرض صورة من أفظع صور عناد اليهود وعنصريتهم، فقد كانت علامات النبي الخاتم معهم في التوراة، وكانوا هم يستنصرون على المشركين بهذا النبي، أي ينتظرون أن ينتصروا على المشركين بعد ظهوره، فلما ظهر كفروا به لأنهم كانوا يرون أنه سيظهر في بني إسرائيل.

● الأديان الإلهية يصدّق بعضُها الآخر: ﴿مصدّقٌ لما معهم﴾

● حينما تصل الأفكار النظرية مرحلة العمل يتبين إخلاص الأفرد، فهؤلاء اليهود اختاروا السكن في المدينة انتظارًا لما بشّرت به التوارة، ولكن حين ظهر النبي، وحانت مرحلة الإيمان العملي: ﴿كفروا به فلعنة الله على الظالمين﴾

● العلم لا يكفي للإيمان، فالإيمان يحتاج إلى الإخلاص والتحرر من قيود الذاتية والأنانية الفردية والعنصرية، لذلك فإن اليهود لم ينفعهم علمهم ومعرفتهم: ﴿فلما جاءهم ما عَرَفوا كفروا﴾

٩٠ - ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنَزَلَ اللّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

الرسائل:

● هذه الآية تبين سبب كفرهم بالنبي الخاتم(ص)، إنه البغي أي الحسد الذي أدى إلى عدم قبول أن يبعث الله سبحانه نبيّه من غير بني إسرائيل. لقد باعوا أنفسهم بئس البيع، وباءوا بالغضب الإلهي المضاعف.

● التعصّب العنصري يتنافى مع الدين، ويؤدي إلى الكفر: ﴿وللكافرين عذاب مهين﴾

● والحسد أيضًا يؤدي إلى الكفر: ﴿بغيًا أن ينزّل... ﴾

● فضل النبوّة فضل إلهي، والله يعلم أين يضع رسالته: ﴿ينزّل الله من فضله على من يشاء من عباده﴾

● أسوأ المعاملات ما باع الإنسانُ نفسَه بثمن غضب الله: ﴿بئسما اشتروا.. فباؤوا بغَضَبٍ على غضب﴾

٩١ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

الرسائل:

● مرة أخرى تعرض الآية عنصرية اليهود، بقولهم: ﴿نؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحقّ﴾، فهؤلاء لا يطلبون الحقّ، بل يطلبون ما يكرّس ذاتيتهم العنصريّة.

● العنصرية والعصبيات القومية تجافي الحق: ﴿ويكفرون بما وراءه وهو الحق﴾

● اليهود حتى في عنصريتهم كاذبون، إذ طبيعتهم الدموية تدفعهم إلى قتل أبناء جلدتهم إن لم يكونوا وفق أهوائهم، ولذلك قتلوا من أنبياء بني إسرائيل يحيى وزكريا: ﴿قُل فَلِمَ تقتلون أنبياء اللّه مِنْ قبلُ﴾

● يهود عصر الرسالة كانوا راضين على فِعلة أسلافهم فاشتركوا معهم، ولذلك توجّه الخطاب القرآني إليهم: ﴿فَلِمَ تقتلون﴾

٩٢ -﴿وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾

الرسائل:

● الآية تقدّم لهم شاهدًا آخر على كذبهم حتى في تعصّبهم القومي، وتذكّرهم بما ارتكبوه بحقّ نبيّهم موسى(ع)، إذ لجأوا إلى عبادة العجل بمجرّد أن فارقهم نبيهم إلى جبل الطور: ﴿ ثم اتّخذتم العجلَ من بعده﴾

● فتح الملفّ التاريخي لليهود، يبيّن طبيعةَ ما هم عليه في كل زمان.

● العودة إلى الشرك والجاهلية ظلم بالمجتمع في جيله الراهن والأجيال القادمة: ﴿وأنتم ظالمون﴾

٩٣ - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾

الرسائل:

● الآية الكريمة تقدّم شواهد أخرى من ملفّ نقض بني إسرائيل للمواثيق، فقد رُفع فوقهم الطور، وأُمروا أن يلتزموا بما جاءهم به نبيهم بقوّة، وأن يفتحوا آذانهم ومنافذ قلوبهم لنداء الحق، لكنهم ﴿قالوا: سمعنا وعصينا﴾ فإذا كنتم ترفضون الإيمان بمحمد(ص) لأنه لم يُبعث من بينكم، فلماذا تعاملتم مع

نبيكم بهذه الصورة؟!

● الآية تنفي عنهم الإيمان ولكن بأسلوب جميل إذ تقول: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾

● مرّت بنا رسالة «رفع الطور»، وفي الآية عبارة تخاطب بني إسرائيل وكل المتلقّين لنداء ربّ العالمين إذ تقول: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوّة﴾، فالرسالة الإلهية تتطلب الجدّ والعزم والإرادة، وليس فيها مجال للتواني والتأني والمداهنة والمهادنة.

● عبارة: ﴿أُشربوا في قلوبهم العجل﴾ فيها تحذير ضمني من الانغماس في حبٍّ يُعمي ويُصمّ ويُضلّ ويُحجب الحقيقة.

٩٤ -﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

الرسائل:

● هذه الآية تفتح ورقة أخرى من ملفّ التعالي العنصري اليهودي، وفيها مزاعمهم أن الدار الآخرة عندالله تختصّ بهم من دون الناس.

● ومرّة أخرى يفضح القرآن كذبهم إذ يقول لهم: ﴿فتمنّوا الموتَ إنْ كنتم صادقين﴾

● الآية الكريمة تشير إلى أن أولياء الله لايهابون الموتَ، بل يرونه وفادةً على ربّ كريم رحيم. يقول الامام علي(ع): «والله لابنُ أبي طالب آنسُ بالموت من الطفلِ بثدي أمّه».

● يستطيع الإنسان أن يختبر خلوصَه في الإمعان بموقفه من الموت. فالموت سفر، والسائق إذ كان يخشى السفر فهو إما لأنه يجهل الطريق، أو يفتقد الوقود، أو لارتكابه مخالفة مرورية. والمؤمن الحقيقي يعرف الطريق: ﴿إليه المصير﴾ ويحمل معه وقود السفر: ﴿عمل صالحاً﴾، ومخالفاته مقرونة بالتوبة.

٩٥ -﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

الرسائل:

● هذه الآية تؤكد مضمون الآية السابقة وتقول: إن هؤلاء القوم لا يتمنون الموت. فالموت ينزع الإنسان من كل ما يربطه بمصادر قوته في الحياة الدنيا من مال ومتاع وأهل وعشير، ويبقى الإنسان وعمله. وإذا كان واثقاً من عمله فإنه يستبشر بلقاء الله، ويرى نجاحه في دورة الحياة الدنيا وانتقاله إلى دورة الحياة الخالدة فوزًا، ولذلك قال أمير المؤمنين علي حين ضُرب بالسيف على رأسه: «فُزت وربّ الكعبة». والمجاهدون المخلصون في ليلة المواجهاتِ مع العدوّ يَعيشونَ حفلةَ ابتهاج وسرور.

● الخوف من الموت هو في الواقع خوف مما يحمل الإنسان من أوزار: ﴿بما قدّمت أيديهم﴾

● المدّعون الكاذبون، والمتعالون على الناس هم ظالمون، والله أعلم بأسباب تخوفهم من الموت: ﴿والله عليم بالظالمين﴾

٩٦ -﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

الرسائل:

● مرة أخرى تذكر الآية دليلاً على كذب ادعاء اليهود، وطبيعتهم، وحرصهم على مال الدنيا ومتاعها، ورغبتهم في الاستزادة: ﴿وَلَتَجدنهم أحرصَ الناس على حياة﴾

● هؤلاء حريصون على الحياة، بل هم أحرص عليها من المشركين: ﴿ومن الذين أشركوا﴾

● الرغبة في طول العمر من سمات هؤلاء الحريصين على الحياة: ﴿يودُّ أحدهم لو يُعمَّر ألفَ سنةٍ﴾

● طول العمر لا نفع فيه إن لم يكن فيه استزادة كمال، وكثرة خيرات، وإلاّ فإنه سوف يؤدي بالمذنب إلى مصيره المحتوم: ﴿وماهو بُمزحزحه من العذاب﴾. عن السجاد (ع) في مكارم الأخلاق: «إلهي عمّرني ماكان عمري بذلةً في طاعتك، فإذا كان عمري مرتعًا للشيطان فاقبضني...».

● لعل المراد من ذكر ﴿حياة﴾ بصيغة نكرة، أنهم حريصون على البقاء على قيد الحياة، مهما كان نوع هذه الحياة وفي أية صورة كانت، وهذا أخسّ الانحطاط في أماني الإنسان.

٩٧ -﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

الرسائل:

● الآية تتحدث عن انحراف آخر من انحرافات اليهود، ففي أوهامهم أن جبرائيل عدوٌّ لهم، وهم أعداؤه، كما جاء في أسباب نزول الآية.

● اليهود تذرّعوا أيضًا بموقفهم من جبرائيل في رفضهم لرسالة النبي الخاتم(ص)، وهذا يعني أنهم لجأوا إلى كل ما عندهم من أوهام لمعاداة الرسالة.

● الروح العدائية القائمة على أساس الأوهام لدى هؤلاء القوم تجاوزت البشر لتطال ملائكة ربّ العالمين: ﴿عدوًا لجبريل﴾

● الدفاع عن الطاهرين من أية تهمة توجّه إليهم من ضرورات الدين: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقًا ..﴾

● القرآن يصدّق رسالات الأنبياء السابقين: ﴿مصدّقًا لما بين يديه﴾

● القرآن هداية وبشرى لمن تخلّص من ذاتيته وأنانيته وآمن بالكامل المطلق سبحانه واتجه إليه: ﴿وهدًى وبشرى للمؤمنين﴾ .

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي

ثلاثية العودة الحضارية

• العناصر الرئيسية لقوة الأمة الإسلامية واقتدارها: التحلّي بالعلم والمعرفة، والحكمة والتدبير واليقظة، والشعور بالمسؤولية والالتزام بها، والاتكال على الله والأمل في الوعد الإلهي، وغض الطرف عن المطالب التافهة الحقيرة أمام نيل رضا الله والعمل بالواجب • نشوب الفرقة والصراع بين صفوف الأمة، يعتبر مرضًا خطرًا يجب العمل على علاجه بكل ما هو متوفر من قوة • إن أمر الوحدة والتلاحم في الصف الإسلامي يشكل اليوم فريضة حتمية يمكن انتهاج الطرق العملية المؤدية إليها بفضل تعاون العقلاء والمشفقين • تحاول وسائل إعلام العدو وعملاؤه الإيحاء بأن أي حركة تحررية أو مطالبة بالعدالة في أي بقعة من العالم الإسلامي مرتبطة بإيران أو بالتشيع • إنهم يوجهون هذه الاتهامات لإرباك العالم الإسلامي ومنعه من اتخاذ موقف مؤازر موحد. إلا أن هذا الخداع لن ينجح في مواجهة السنة الإلهية القاضية بانتصار المجاهدين في سبيل الله وأنصار دينه.

يوجّه الامام الخامنئي في بيان له عام الانسجام الإسلامي الأمةَ نحو ثلاثة أركان من أجل استعادة وجودها وعزّها ومجدها وهي:

١- الصمود أمام التحديات

٢ -التعامل الأخوي بين المسلمين

٣ -الانقياد لعبودية الله سبحانه . يقول:

«لقد أكد القرآن الكريم على الوقوف بقوة واقتدار أمام الأعداء، والتعامل بالعطف والمحبة بين المؤمنين، والعبودية والخشوع أمام الله، وذلك كمؤشرات ثلاثة للمجتمع الإسلامي: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ ... فهذه الأركان الرئيسية الثلاثة هي من أجل بناء كيان الأمة الإسلامية المرتكز على العز والمجد.

على ضوء هذه الحقيقة، يمكن للمسلمين بجميع أفرادهم، أن يتعرفوا جيدًا على ما يعانيه العالم الإسلامي وما يعتريه من مشاكل في الوقت الراهن».

ثم يفصل سماحته القول في هذه الأركان الثلاثة ويبدأ بالركن الأول فيقول:

«إن عدو الأمة الإسلامية الغادر، يتمثل اليوم في الرؤوس المديرة للمراكز الإستكبارية والقوى ذات النزعة التوسعية والعدوانية ، ممن يعتبرون الصحوة الإسلامية تهديدًا كبيرًا لمصالحهم

اللامشروعة وسيطرتهم الغاشمة على العالم الإسلامي. إنه على جميع الشعوب المسلمة - وفي مقدمتهم السياسيون وعلماء الدين والمثقفون والقادة الوطنيون في كل دولة - أن يشكلوا الصف الإسلامي الموحد بالمزيد من القوة والصلابة أمام هذا العدو المعتدي. عليهم أن يجمعوا في أنفسهم كل عناصر القوة وأن يجعلوا الأمة الإسلامية قوية فعلا. إن التحلّي بالعلم والمعرفة ، والحكمة والتدبير واليقظة ، والشعور بالمسؤولية والالتزام بها ، والاتكال على الله والأمل في الوعد الإلهي، وغض الطرف عن المطالب التافهة الحقيرة أمام نيل رضا الله والعمل بالواجب، ... كل ذلك يعتبر العناصر الرئيسية لقوة الأمة الإسلامية واقتدارها ، مما يحقق للأمة ما تصبو إليه من عزّ واستقلال وتقدم في المجالين المادي والمعنوي، ويفشل العدو في محاولاته التوسعية وتطاوله على الدول الإسلامية».

ثم يقف أطول عند الركن الثاني (ركن الأخوة الإسلامية) بسبب ما اجتاح الساحة الإسلامية أخيرًا من عاصفة إثارة طائفية أرادت أن تنتقم مما حققته الأمة الإسلامية من مكاسب بدرجة وأخرى في إيران ولبنان وفلسطين والعراق. يقول:

«إن عنصر العطف والرأفة بين المؤمنين، يشكل الركن الثاني ويعتبر مؤشرًا آخر للحالة المنشودة للأمة الإسلامية. فإن نشوب الفرقة والصراع بين صفوف الأمة ، يعتبر مرضًا خطرًا يجب العمل

على علاجه بكل ما هو متوفر من قوة. لقد بذل أعداؤنا ـ ومنذ أمد بعيد ـ جهودًا كبيرة وحثيثة في هذا المجال. وإنهم قد زادوا من جهودهم اليوم، بعد أن أخافتهم الصحوة الإسلامية. كل ما يقوله المشفقون هو أنه يجب ألا تتحول الفوارق إلى تناقضات، ولا التعددية إلى صراع.

لقد سمّى الشعب الإيراني هذا العام عام الانسجام الإسلامي . وجاءت هذه التسمية بسبب وعيه بمؤامرات الأعداء المتصاعدة لبثّ الخلاف بين الإخوة والأشقاء. هذه المؤامرات باتت فاعلة في كل من فلسطين ولبنان والعراق وباكستان وأفغانستان؛ حيث شهدنا أن بعض أبناء دولة مسلمة دخلوا في حرب وصراع ضد بعضهم الآخر، ويريقون دماء بعضهم . في جميع هذه الأحداث المُرّة المأساوية، كانت علائم المؤامرة واضحة ، ولم تبق يد العدو خافية من العيون الدقيقة والأبصار الحادة.

إن معنى الأمر القرآني المتمثل في : «رحماء بينهم» هو اجتثاث جذور هذه الصراعات. إنكم في هذه الأيام المباركة وخلال جميع مناسك الحج، تشاهدون المسلمين ـ من كل مكان ومن مذاهب مختلفة ـ وهم يطوفون حول بيت واحد، ويصلّون باتجاه كعبة واحدة؛ ويرجمون ـ جنبًا إلى جنب بعضهم ـ رمز الشيطان الرجيم؛ ويتصرفون بنمط واحد عند ذبح الأضاحي كرمز للتضحية بالأماني والأهواء النفسانية؛ ويبتهلون إلى الله جنبًا إلى جنب سواء

في عرفات أو في المزدلفة... إن المذاهب الإسلامية متقاربة إلى بعضها بنفس الدرجة في معظم الفرائض والأحكام والعقائد الرئيسية وأهمّها. وطالما الأمر كذلك، فلماذا تأتي العصبيات والأحكام الصادرة مسبقًا لتؤجج نار الفتنة بينهم، وتأتي أيدي العدو الآثمة لتصب الزيت على هذه النار التي تقضي على الأخضر واليابس؟

اليوم، هناك من يتذرع بحجج واهية ،وبدافع من الجهل وقصر النظر، ليرمي جماعة كبيرة من المسلمين بالشرك ويبيح دماءهم. إن هؤلاء يخدمون الشرك والكفر والاستكبار سواء أكان ذلك عن وعي أو من دون وعي. فكم شهدنا الذين اعتبروا احترام روضة النبي الأعظم ـ صلي الله عليه وآله ـ ومشاهد الأولياء وأئمة الدين ـ عليهم السلام ـ شركًا وكفرًا!! رغم كون ذلك تعظيمًا لأمر الدين والتدين؛ لكنهم بدورهم انخرطوا في خدمة الكفرة والظالمين وساعدوهم على تحقيق أهدافهم الخبيثة.

على العلماء الحقيقيين والمثقفين الملتزمين والقادة المخلصين أن يقوموا بمكافحة هذه الظواهر الخطرة.

إن أمر الوحدة والتلاحم في الصف الإسلامي يشكل اليوم فريضة حتمية يمكن انتهاج الطرق العملية المؤدية إليها بفضل تعاون العقلاء والمشفقين».

ثم يؤكد سماحته على ما يمكن أن يحدث لو اقترنت هذه

الأركان الثلاثة لدى الأمة. وعلى ما يُحاوله إعلام العدوّ من تفكيك لهذه الأركان وهدم مقوماتها بألوان الأكاذيب والتهم يقول:

«إن هذين الركنين الذين تقوم العزة عليهما - أي تحديد المواقع واتخاذ الموقف القوي الحاسم أمام الاستكبار من جهة، والتراحم والتقارب والتآخي بين المسلمين من جهة أخرى - عندما يقترنان بالركن الثالث، وهو الخشوع والتعبد أمام الربّ جل وعلا، فعندئذ ستتقدم الأمة الإسلامية مرحلة تلو الأخرى في نفس الطريق التي أدّت بمسلمي العهد الإسلامي الأول إلى ذروة العزّ والعظمة، وستتخلص الشعوب المسلمة من التخلف المُزري الذي فُرض عليها خلال القرون الأخيرة. لقد بدأت تباشير هذه الحركة العظيمة في الظهور ، وتحركت تيارات الصحوة بشكل أو بآخر في كل أرجاء العالم الإسلامي. وتحاول وسائل إعلام العدو وعملاؤه الإيحاء بأن أي حركة تحررية أو مطالبة بالعدالة في أي بقعة من العالم الإسلامي مرتبطة بإيران أو بالتشيع؛ كما يحاولون أن يحمّلوا إيران الإسلامية الرائدة في حمل راية الصحوة الإسلامية بنجاح، مسؤولية الضربات التي يتلقونها في الساحة السياسية أو الثقافية من قبل غيارى الأقطار الإسلامية. إنهم يوجهون تهمًا من قبيل الانتماء لإيران أو التشيع إلى الملحمة البطولية التي سطرها حزب الله بما ينقطع نظيره خلال حرب

الـ٣٣ يومًـا؛ وإلى صـمود الشـعب العراقـي المصـحوب بالتـدبير والحكمـة والـذي أدى إلى تشـكيل مجلس وحكومـة لم يكـن المحتلـون يريـدونهما بهـذه الشـاكلة؛ وإلى مـا أبدتـه الحكومـة الشـرعية في فلسـطين والشـعب الفلسـطيني المضـحّي مـن صـبر وصمود يبعثان على الإعجاب؛ وإلى كثير من الحالات التي تمثل إرهاصات تجديد حياة الإسلام في الدول الإسلامية. إنهم يوجهون هـذه الاتهامـات لإربـاك العـالم الإسـلامي ومنعـه مـن اتخـاذ موقـف مؤازر موحد. إلا أن هذا الخداع لن ينجح في مواجهة السنة الإلهية القاضية بانتصار المجاهدين في سبيل الله وأنصار دينه.

إن المسـتقبل للأمـة الإسـلامية . وإن كـل واحـد منـا - حسـب مقدراته وطاقاته ومسؤوليته - يستطيع بدوره أن يساهم في تقريب أجل هذا المستقبل».

تحـاول وسـائل إعـلام العـدو وعمـلاؤه الإيحـاء بـأن أيـة حركـة تحرريـة أو مطالبـة بالعدالـة في أيـة بقعـة مـن العـالم الإسـلامي مرتبطـة بـإيران أو بالتشـيع؛ كمـا يحـاولون أن يحمّلـوا إيـران الإسـلامية الرائـدة في حمـل رايـة الصـحوة الإسـلامية بنجـاح، مسـؤولية الضـربات الـتي يتلقونهـا في السـاحة السياسـية أو الثقافيـة مـن قبـل غيـارى الأقطـار الإسلامية. الامام الخامنئي

آفاق التواصل
مع الآخر ومبادئه

محمد علي التسخيري*

●التنوع لطف إلهي له غاياته الكبرى في الخلق ●التنوع لابد أن يعني الاعتراف بتنوع الرؤى والمواقف والمذاهب ●إن هناك تلازمًا تامًا بين المسيرة الحضارية الإنسانية التغييرية وعملية الحوار والايمان بالقيم المشتركة والمطلقة ● الحوار لايستلزم الاعتراف بالآخر ولايتطلب أن يعترف الآخر به وإنما يبحث عن مسيرة ومساحة مشتركة ●الحوار لا يعني التردد في الموقف بقدر ما يعني الثقة به ●الأديان تشكل روح الحضارات حتى ولو حاولت بعض الحضارات التنصل من روحها الدينية وادعاء العلمانية ● الدين يربي في المسلم رؤية إنسانية واسعة تجعله يفكر في الآخرين، فإما هم إخوة في الدين أو نظراء في الخلق ●إن العالمية هي اتجاه طبيعي يخرج به الانسان عن دائرته الضيقة الى المساحة الانسانية

* - الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

الواسعة.

تمهيد: نتناول فيه نقاطًا ثلاث

الأولى: يمكننا القول بأن مفهوم (نحن) و مفهوم (الآخر) يمكن أن يكونا نسبيين على ضوء المحور الذي نستند اليه. فقد يكون هذا المحور هو الذات الشخصية، أو الذات المذهبية في إطار الدين الواحد، أو الذات الدينية، أو الذات المؤمنة بدين سماوي، أو الذات المؤمنة بمطلق قيمي حتى وإن لم تؤمن بدين سماوي؛ وحينئذ يختلف (الآخر) باختلاف محور (الذات)، وتختلف نوعية (العلاقة) بينهما سعة وضيقًا، وتتنوع آفاق التواصل، وبالتالي تختلف الأشكال وآليات التواصل تبعًا لذلك. وما نركز عليه في هذا البحث هو محور الذات الاسلامية فيكون (الآخر) هو ما عدا المسلمين سواء كانوا متدينين بدين سماوي أو مؤمنين بمطلقات قيمية أم لا. وبطبيعة الحال يختلف خطابنا بما فيه استدلالاتنا باختلاف المخاطب، واختلاف القيم المشتركة بيننا و بينه.

الثانية: لايمكننا أن نفصل المسألة الاجتماعية أي (الأسلوب والآليات الخطابية والسلوكية او فلنقل: نظام التعامل) عن المسألة الفلسفية أي (كيفية تقييم الوجود بما فيه التاريخ والانسان)، فهما مرتبطتان، بل تشكل المسألة الثانية.

ولذا كانت (الايديولوجيا) مرتبطة تماما بالسلوك فلا يدعي

الفصل بينهما إلا المغالطون. وقديما ادعت (الرأسمالية) الفصل بين العقيدة والسلوك الاجتماعي ولكنها في الواقع كانت قد آمنت بالمادية ثم وضعت نظريتها الاجتماعية.

وعليه: فما لم نحدد الاسس النظرية الفلسفية المشتركة يصعب الالتزام بالمنطقية في مجال تحديد الأساليب وآليات التعامل مع الآخرين. ومن هنا فسوف نركز على الأسس النظرية التي تشكل المشترك فيه مقدمة لتحديد هذه الآليات.

الثالثة: قيل الكثير عن النظريات الفلسفية التي نظرت الى الوجود نظرة كلية فرأته يتلخص في (وحدة متكثرة) أو (كثرة متوحدة) ومنها نظرية (الحكمة المتعالية) للمرحوم صدر المتألهين الشيرازي وتتلخص في كون الوجود حقيقة خارجية لايوجد فيها تباين او تنوع بل هي ذات واحدة، وحدة متكثرة وكثرة متوحدة قائمة على أساس الايمان بالوجود المشكك المؤدي الى تنوع في العلل والمعاليل، والقوى والفعليات، ولكنه لايعد تنوعًا في الماهيات وإنما هو تنوع في حد الوجود وقوته وضعفه ودرجاته ومراتبه.[1] ولسنا بصدد تأييد هذه الرؤية أو ردها بقدر ما نحاول التأكيد عليه من أن كل الفلاسفة والعرفاء يدركون حقيقة جامعة وهي هذا الالتحام بين وحدة هذا الوجود المترامي وبين تنوع مظاهرة وتجلياته ولكنهم يختلفون في تفسير ذلك، وإذا ما

---

١ - الملاصدرا والحكمة المتعالية ـ فارسي ـ ص ٥٦.

ركزنا على الوجود الانساني اتضحت لنا هذه الحقيقة بشكل أعمق فنحن من جهة ندرك وجدانًا ـ ودونما شك ـ وجود مساحة أصيلة تميز النوع الانساني عن غيره وتبعًا لذلك تميز العمل والسلوك الانساني عن السلوك الحيواني فضلاً عن الحركة النباتية أو الجمادية، كما ندرك وجود تنوع واسع في الألوان واللغات والأجناس والأذواق والثقافات وغير ذلك.

ومن هنا، ونتيجة لنظرة موضوعية فاحصة نجد الاسلام بمقتضى انسجامه مع الفطرة والواقع الانساني أقر أمورًا تنطلق من الواقع وتنظم هذه العلاقة أروع تنظيم مما يشكل أروع نظرية إنسانية في العلاقات بين بني البشر وقد سعينا في هذا البحث لتبيين بعض الملاحظات أو الأضوية في هذا المجال، مستندين الى النصوص الاسلامية المتعلقة بهذا الموضوع.

الملاحظة الأولى:

التنوع لطف إلهي له غاياته الكبرى في الخلق: وقد حفلت الآيات القرآنية بما يدل على هذه الحقيقة من قبيل: قوله تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابّة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل

والنهار لآيات لأولى الألباب﴾.

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾.

وقوله تعالى:﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضًا سخريا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾ الى غيرها من الآيات الشريفة التي تجعل التنوع سنة إلهية ونعمة على الموجودات وأهمها الانسان تسهل له حياته الى جانب ما لا يحصى من الظواهر التي تدل على التخطيط الالهي الحيكم لهذه المسيرة الانسانية المتكاملة. ولاريب في أن التنوع - كما تشير بعض النصوص - ضروري لتحقيق التعارف السليم ومقدمة للتعاون البناء لتحقيق اهداف الخلقة الانسانية، كما أنه ضروري لفسح المجال لانطلاقة العقل نحو الاجتهاد والابداع والابتكار وتطوير الحياة عبر الاستفادة من قدرة التجريد العقلي والخلاص من أسر الظروف الحسية لتصور الحالة الأفضل وبالتالي التخطيط لتحققها.

وهو ضروري للتنافس في الخير لتحقيق الدفع التكاملي المطلوب بما فيه التسخير المتبادل للطاقات والتعاون اللازم.

ثم إن هذا التنوع لابد أن يعني الاعتراف بتنوع الرؤى والمواقف

والمذاهب.

ومن هنا لا نجد أي تأكيد على وحدة الأفكار إلا ما يتميز به المسلم عن غيره.

الملاحظة الثانية:

إن الانسان يطمح - كما قلنا - بفطرته الى تغيير الواقع الى الشكل الأمثل وهو يحتاج في كل مراحل التغيير الى الايمان بالقيم الثابتة وعلى النحو التالي:

أولاً : في مرحلة إيمان الإنسان بذاته.

ثانيًا: في مرحلة العبور الى خارج الذات.

ثالثًا: في مرحلة صياغة الفكر وتكوين الصورة عن الحاضر والمستقبل انطلاقًا نحو التغيير الى الأفضل .

رابعًا: في مرحلة نقل الفكرة الى الآخرين واستلام افكارهم .

خامسًا: في مرحلة السبر والتقسيم والتمحيص والتداول.

سادسًا: في مرحلة الاستنتاج والاقتناع .

سابعًا: في مرحلة التخطيط للتغيير.

وأخيرًا : في مرحلة تنفيذ التغيير وتحقيقه.

وخلاصة الأمر:

إن هناك تلازمًا تامًا بين المسيرة الحضارية الإنسانية التغييرية

وعملية الحوار والايمان بالقيم المشتركة والمطلقة.

القيم المشتركة مطلقة واقتضائية:

إننا وبالتحليل النفسي الوجداني الذي اعتمدناه في مسيرتنا هذه ندرك وجود منظومتين من القيم احداهما مطلقة التأثير لا تحدها حدود أو ظروف معينة، والأخرى هي قيم الحالة الطبيعية أو (قيم الأصل) مما يعني تحولها الى النقيض أو فقدانها التأثير المطلوب إذا طرأت ظروف أخرى.

ومن أمثلة المنظومة الاولى:

قيمة العدالة فهي مطلوبة مهما كانت الظروف.

وكذلك تقديم الشكر للمنعم المتفضل.

ومن أمثلة المنظومة الثانية:

حفظ الذات، حفظ الكرامة، التعاون، الدفاع عن المستضعفين و السلام والأمن، التغيير الى الأفضل، الرحمة، الايثار، الامانة.

فقد يكون الصدق في بعض الأماكن نتيجة ما يؤول إليه من تبعات ظلمًا لا عدالة، وكذلك السلام أحيانًا بما يؤدي إليه من جرأة على حرمات الإنسانية. فإذا كانت العدالة قيمة مطلقة، فان السلام قيمة نسبية نعمل على تحقيقها إذا عادت وجهًا من وجوه العدالة، ونرفضها ان كانت ظلمًا، ولكن التساؤل الأساس هو: ماهي معايير العدالة؟ وكيف نتأكد من تحقيقها.

إن الأديان السماوية كلها تؤكد على معيارين:

الأول: معيار تعبدي نستفيد فيه من علم العالم المطلق وهو الله تعالى وهو تعليمات الدين الثابتة، والتي نتأكد من كونها صادرة من الله سبحانه، ذلك إننا نتأكد قبل ذلك من علم الله الشامل، ومن لطفه ورحمته بالإنسان المخلوق ومن عدالته وتمتعه بكل صفات الكمال، فهو لا يريد بالإنسان إلا الخير ولا يخدع الإنسان وانما يكشف له كل الواقع ويريد له كل الخير.

الثاني: معيار وجداني يكفي فيه التأمل في الاعماق وقناعاتها، أو فلنعبر بأنه يكفي فيه الرجوع إلى الفطرة نفسها.

وما يساعدنا في اكتشاف العمق الفطري هو كون هذه القناعة – أيّة قناعة كانت – من ملازمات الطبيعة الإنسانية، ولذلك نجدها متوفرةً لدى كل أبناء الإنسان في مختلف ظروفهم وحالاتهم الفردية والاجتماعية وأزمنتهم وأمكنتهم.

ولكي نتأكد من هذا المعنى نستطيع أن نطرح هذا السؤال على أي إنسان: هل تعتبر أن السلوك الفلاني سلوكًا إنسانيًا أم سلوكًا حيوانيًا؟ فمثلاً لنركز على (قتل اليتامى والعجزة والمستضعفين للتلهي والتشهي) مثل هذا السلوك يعد سلوكًا وحشيًا من قبل اي إنسان بلا ريب والقرآن الكريم أحيانًا يعيد الإنسان ًالى تأمله الوجداني وقناعته الفطرية حينما يقول: ﴿أحلّ لكم الطيبات﴾ ويترك أمر تعيين الطيبات له، ويقول ﴿إنَّما حَرّم

ربّيَ الفواحشَ﴾ ويترك أمر تعيين الفواحش له أيضًا ويعتبر الخروج عن الحالة الإنسانية (فسقًا) وانحرافًا عن الطبيعة ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾.

الملاحظة الثالثة:

إن التركيبة الوجودية الفطرية تتطلب التواصل الفكري مع الآخرين عبر صياغة الفكرة داخليًا ونقلها عبر الطريقة الرمزية واللغوية الى الآخرين والتعرف على ما يفكر به الآخرون ليتم التفاعل بين الأفكار وبالتالي تطويرها.

ولكن هذا التفاعل يحتاج الى قواعد يدركها الانسان بالوجدان إجمالاً وتبلورها وتوضحها إرشادات الوحي أيما توضيح، ونحن نعتقد أن الوحي - بالاضافة الى كشف المجالات المعرفية المجهولة لدى الانسان في سبيل تسهيل وصوله الى كماله - يستهدف أن يبرز له كوامنه الفطرية واستعداداته النفسية ويوضح له بجلاء إدراكاته العملية.

ومن هنا نجد القرآن الكريم يعرض أمام الانسان نظريته الحوارية المتكاملة الشاملة لمرحلة ما قبل الحوار ولأهدافه ومواضيعه وأخلاقه وشروطه اللازمة كي يحقق هدفه المنشود دون أن يقع فريسة الجهل والتعصب والنرجسية والاعتداد بالنفس والعناد والخرافات والتقليد الاعمى والتهويش والاستخفاف وأمثال

ذلك مما يتعقبه القرآن بكل دقة ويعمل على نفيه، وتنقية الحياة الفكرية منه ليتسنى للانسان أن يحاور بكل صفاء وموضوعية وبروح حضارية تواقة للكمال.

الملاحظة الرابعة:

مما يتردد في بعض الكتابات أن الحوار يستلزم الاعتراف بالآخر، أو يعني التردد في الموقف وعدم الوثوق منه، أو يعني وضعه الى مستوى الفكر الآخر، وربما قيل إن موقف من يطلب الحوار هو موقف الضعيف الذي يطلب أن يعترف به الآخرون.

ولكننا نعتقد أن كون الحوار سبيلاً منطقيًا انسانيًا ينفي عنه كل هذه الأمور؛

فهو لايستلزم الاعتراف بالآخر ولايتطلب أن يعترف الآخر به وإنما يبحث عن مسيرة ومساحة مشتركة، أو عن ما إذا كان الآخر ينظر الى نقاط مبهمة لا يتفهمها ويحتاج الأمر الى توضيح ما. نعم، من شرط الحوار احترام الآخر وعدم الإساءة اليه أو إثارته ليخرج عن حالته الطبيعية وهذا منهج قرآني أصيل.

وهو أيضًا لا يعني التردد في الموقف بقدر ما يعني الثقة به وقد دعي الرسول(ص) ليقول للمشركين ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين﴾ وهو أعظم الناس إيمانا. إن الواثق لديه أقدر على الدخول في الحوار لأنه مطمئن من جوهرته الثمينة فلا يخاف

عليها من نقد ناقد.

الملاحظة الخامسة:

مما يرتبط بعملية الحوار أن الهدف العام يجب أن يكون دراسة الجوانب التي يشترك فيها المتحاوران، وإن كان ذلك الاشتراك في الخطوط الجوهرية دون التفاصيل، ثم دراسة إمكان التوسع في هذه المساحة عبر سبر أبعاد المسائل والتوصل فيها الى محاور مشتركة، ثم يأتي بعد ذلك التخطيط لتحويل المساحة المشتركة الى واقع مجسد وهنا يبرز أمران:

أولهما: إن هذا المقصد عام متسع يمكن تطبيقه على كل المتحاورين مهما كانت مواقفهما النظرية والعملية. وها نحن اليوم نعيش دعوة للحوار بين العالم الاسلامي والغرب. ورغم اتساع الهوة بينهما، وقيام الغرب بكل ما من شأنه القضاء على الهوية الاسلامية، وتوجيهة الاهانة للمقدسات الاسلامية السامية على كل ذلك بدوافع صليبية متطرفة أو صهيونية حاقدة، فان المجال لا يزال مفتوحًا كما نرى لحوار بين العقلاء من الطرفين يحاول حل القضايا العالقة وتبين المساحة المشتركة وهذا لايمنع من العمل الرادع ضد العناصر المتطرفة وإيقافها عند حدها بمختلف الأساليب المناسبة.

وثانيهما: إن المساحة المشتركة كلما اتسعت اتسعت معها المسؤوليات المشتركة، وتبع ذلك تعاون أكبر في المسار الحضاري المشترك حتى لو تطلب الأمر تجميد بعض الخلافات لصالح ذلك.

وكمثال على ذلك نطرح هنا مسألة الحوار بين الاديان الابراهيمية والتعاون لصد موجة الإلحاد والعلمانية ورفع مستوى المعنويات وتقوية حركة التوازن الحضاري، لأن الأديان تشكل روح الحضارات حتى ولو حاولت بعض الحضارات التنصل من روحها الدينية وادعاء العلمانية.

الملاحظة السادسة:

نعتقد أن المسؤولية الحضارية مسؤولية مهمة يوليها الاسلام أشد الاهتمام. حيث يربي في المسلم رؤية إنسانية واسعة تجعله يفكر في الآخرين، فإما هم إخوة في الدين أو نظراء في الخلق - كما يعبر الامام علي في نهج البلاغة - وينصر كل مستضعف مهما كان اتجاهه، ويدعم كل حركة عادلة مهما كان لونها، وهو يعتقد ان لكل كبد حرى لأجرًا كما يعبر الرسول الأكرم(ص)، بل هو يعشق الطبيعة ويحبها، ولا يؤذي حتى الحيوانات الأليفة إنها إذن خلقية حضارية. وهي كما قلنا تتسع باتساع المساحة المشتركة، فمسؤولية المسلم تجاه المسيرة الانسانية ورفدها ومحو الظلم منها كبيرة، وتجاه المتدينين أكبر، وتجاه المسلمين أكبر و أكبر، وهكذا حتى يصل الأمر الى المحلة المشتركة والعائلة المشتركة.

الملاحظة السابعة:

إن مسألة الدفاع عن حقوق الانسان تندرج في الملاحظة السالفة

بقوة.

ذلك أننا نعتقد أن الله أودع في الفطرة الانسانية ما تدرك به هذه الحقوق، وما به يتم ضمانها للنوع الانساني وحتى الحقوق المكتسبة من قبيل ما يستحقه المتقون والمحسنون والصالحون والآباء والأقارب من احترام وشكر وضعت في الفطرة منا شيء لانتزاعها وتدركها النفس الانسانية بـ (العقل العملي) كما يسميه الفلاسفة، أو بالوجدان وهو خصيصة فطرية تتواجد مع الانسان وتلومه إن انحرف عن الصبغة الطبيعية الانسانية.

ومن هنا نقول: إن الاسلام ينطلق في نظريته عن حقوق الانسان من منشأ واقعي فطري وينسجم في كل تشريعاته مع هذا المنشأ. في حين تعجز النظريات المادية - وهي لا تؤمن بالفطرة - عن إقامة مثل هذا البناء على أسس متينة، بل إننا نعتقد أن الحديث عن العدالة والأخلاق والذوق الفني، بل وعن المعرفة الانسانية لا معنى له إذا أنكرنا الفطرة.

الملاحظة الثامنة:

إن العالمية هي اتجاه طبيعي يخرج به الانسان عن دائرته الضيقة الى المساحة الانسانية الواسعة ومن كثرته الى وحدته، ومن همومه المحدودة الى المسؤولية الكبرى، وبالتالي فهي حركة مباركة. ونحن نشهد اليوم كيف ترابطت المصالح واشتبكت الأمور في مجال البيئة والإعلام والحقوق والعلوم والطاقة وغير

ذلك، إلا أن المذموم والخطير في الأمر أن هناك حركة شيطانية تحاول الهيمنة ثقافيًا واقتصاديًا وعسكريًا لسرقة هذا النتاج الحضاري وتحقيق أهدافها وسحق الآخرين وهو ما نسميه اليوم بالعولمة المجنونة والحمقاء والامركة وما الى ذلك مما يتطلب أن تتحرك البشرية كلها ضد هذا الاستغلال الحضاري المقيت.

الملاحظة التاسعة:

لا ريب في كون الأمان مطلبًا انسانيًا فطريًا يستمد جذوره من أهم غريزة وجدت في فطرة الإنسان، وهي غريزة (حب الذات). وهذه الغريزة تعمل مع باقي الغرائز بشكل متناسق لتحقيق سير إنساني متوازن نحو الأهداف التكاملية العليا للانسان .. فلا يكفي وجود الدوافع الغريزية لتأمين المسير المتوازن وإنما يجب تأمين جو طبيعي للذات الفردية وللذات النوعية كي تدفعها تلك الدوافع نحو أغراضها المنشودة.

وتأكيدًا من الفطرة نفسها على توفير الجوّ الآمن، نجد العناية الإلهية قد غرست فيها بديهيات الحكمة، والميول نحو العدل، والنفور من الظلم والاعتداء، بل ومنحتها القدرة على تعيين الكثير من مصاديق العدل والظلم، مما يمهد لها السبيل للاتصال بالخالق العظيم وتقديم معاني الولاء له، وحينئذ تنفتح لها آفاق الوحي، وتكتشف بذلك الأطروحة السماوية الرحيمة التي تعطيها المخطط الكامل للمسيرة، وتضمن لها كل ما يوصلها إلى

أهدافها.

فالأمن إذن حاجة انسانية دائمة لا تغيّرها الظروف، وليس ظاهرة عرضية حتى يقال، بأنها معلولة لوضع اجتماعي معين إذا ما تبدل تبدلت هذه الظاهرة معه. ومن هنا أيضًا يكون من الطبيعي أن نتصور الحاجة إلى نظام شامل يتكفل حماية الأمن الفردي والاجتماعي على مدى مسيرة الإنسان الطويلة.

ولا يمكننا أن نتصور حدودًا لمسألة حماية السلام والأمن إلا في إطار مسألة التكامل الإنساني ذاتها، بعد أن ندرك أن الفطرة - كما قلنا - هي معيار الحقوق الإنسانية كلها بشكل إجمالي. وأنها هي التي فرضت حماية الأمن الإنساني لتحقيق الهدف الكبير. وحينئذ لن يقبل الأمن تحديدًا إلا إذا خرج عن وظيفته الحياتية، وعاد عنصرًا ضد الأمن نفسه، فلا معنى إذن لضمانه.

وإلا فكيف نتصور الفطرة التي أعلنت الحاجة إلى الأمن وهي تسمح للفرد بالقضاء على أمن نفسه هو، أو أمن الآخرين، وبالتالي على أمن المسيرة الإنسانية كلها دون أن تحدده بما يردعه عن فعلته، حتى ولو كان ذلك بتهديد أمنه؟

مبدأ المعاد يوحّدنا

إن كنّا مؤمنين

مرتضى مطهري *

• أن سعادتنا في هذه الحياة الدنيا المعاشة، وفي الحياة الآخرة المحجوبة عنّا تكمن في «الإيمان» باليوم الآخر • ليس الموت فناءًا وزوالاً وعدمًا، بل هو انتقال من عالم إلى عالم آخر، ومن نشأة إلى نشأة أخرى، وتستمر حياة الإنسان بنمط آخر • بموت الإنسان تنتقل الروح أو النفس إلى نشأة من سنخ الروح. وبعبارة أخرى تتمّ لدى الموت عمليةُ تسليم تلك الحقيقة المتسامية على حقيقة المادة إلى بارئها • مسألة الروح أو النفس، وبقاء الروح بعد الموت من أمهات المعارف الإسلامية • أن القيم الواقعية الإنسانية تستند إلى هذه الحقيقة، ولولا هذه الحقيقة لأضحت تلك القيم وهمًا محضًا • مسألة النوم من المسائل المعقدة الغامضة أمام العلم. وما يستطيع العلم أن يفهمه عن النوم ـ وهكذا عن الموت ـ هو مجموعة التغييرات التي تحدث على فسلجة الجسم لا غير.

---

* - مفكر إسلامي كبير.

المعاد من أركان التصور الإسلامي

الإيمان بالحياة الخالدة والحياة الأخروية واحد من أصول التصور الإسلامي ومن أركان الإيمان والاعتقاد في الإسلام، ولا يكون الإنسان مسلمًا مالم يحمل مثل هذا الإيمان.

الأنبياء - بأجمعهم - دعوا الناس إلى الإيمان بالحياة الأخرى باعتباره أهم أصل بعد التوحيد. وهذا الأصل اصطلح عليه المتكلمون المسلمون اسم «أصل المعاد».

في القرآن الكريم مئات الآيات التي تدور حول الحياة الأخرى ويوم القيامة وكيفية حشر الأموات والميزان والحساب وتسجيل الأعمال والجنة والنار وخلود عالم الآخرة وسائر المسائل المرتبطة بعالم ما بعد الموت. وفي اثنتي عشرة آية ورد ذكر الإيمان باليوم الآخر بعد الإيمان بالله.

القرآن الكريم ذكر عالم القيامة بتعابير مختلفة، وكل تعبير يشكل بابًا من المعرفة، وأحد هذه التعابير «اليوم الآخر» وأراد القرآن من هذا التعبير أن يذكرنا بمسألتين:

الأولى: أن حياة الإنسان بل مسيرة الكون تنقسم بمجموعها على مرحلتين أو «يومين»: المرحلة الأولى الفانية (مرحلة الحياة الدنيا)، والمرحلة الأخرى الخالدة (مرحلة الحياة الأخروية)، وورد في القرآن تعبير «الأولى» و«الآخرة» ليعبر عن الحياتين الدنيوية والأخروية:

﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾.

﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى﴾.

الثانية: أن سعادتنا في هذه الحياة الدنيا المعاشة، وفي الحياة الآخرة المحجوبة عنّا تكمن في «الإيمان» باليوم الآخر.

الإيمان بالحياة الأخرى يوفّر لنا السعادة في هذه الدنيا، لأن هذا الإيمان ينبّهنا على نتائج أعمالنا، ويفهمنا أن أعمالنا وأقوالنا صغيرها وكبيرها لها، مثل مالنا، يومان: يوم أول ويوم آخر. أي إنها لا تنعدم ولا تنتهي في الحياة الدنيا، بل تبقى لتُحتسب في الميزان في اليوم الآخر. من هنا فإن هذا الإيمان يحثّنا على أن نكون خيّرين في أعمالنا ونوايانا وأن نبتعد عن أفعال السوء، أي يحثّنا على أن نطوي باستمرار طريق فعل الخيرات، كما أن الإيمان بالحياة الأخرى يوفّر لنا السعادة أيضا في تلك الحياة الأخروية لأن أعمالنا في هذه الدنيا سوف تكون ـ كما سنبيّن ذلك ـ أساس سعادتنا وشقائنا في تلك الحياة.

من هنا أكد القرآن الكريم على أن الإيمان باليوم الآخر أمر ضروري ولازم لسعادة البشر.

مصدر الإيمان بالحياة الأخرى

المصدر الأول والأساس في الإيمان بالحياة الخالدة والحياة الأخرى هو الوحي الإلهي المنقول إلى البشر عن طريق الأنبياء.

بعد أن يؤمن الإنسان بالله وبرسله وبما أنزل الله على رسله عن طريق الوحي، فإنه يؤمن أيضًا بيوم القيامة والحياة الخالدة

كأهم أصل دعا إليه الأنبياء بعد أصل التوحيد.

من هنا فإيمان الفرد بالحياة الأخرى يتوقف أولا على درجة إيمانه بأصل النبوة وبصدق أقوال الأنبياء، ويتوقف ثانيًا على مستوى معلومات الفرد وعلى صحة تصوره في أمر المعاد والعالم الآخر، ومدى ابتعاد هذه التصوّرات عن الأوهام والتخيلات الساذجة.

إضافة إلى طريق الوحي الذي بشّر به الأنبياء، ثمة طرق أخرى، أو علائم وقرائن أخرى للإيمان بالمعاد. وهذه الطرق حصيلة الجهود الفكرية والعقلية والعلمية البشرية، وهي ـ على الأقل ـ تأييد لصحة أحاديث الأنبياء بشأن المعاد والعالم الآخر. هذه الطرق عبارة عن:

١ـ طريق معرفة الله.

٢ - طريق معرفة العالم.

٣ - طريق معرفة الروح والنفس الإنسانية.

لا نتطرق هنا إلى هذه الطرق لأن ذلك يفرض طرح مجموعة من البحوث العلمية والفلسفية، ونكتفي بمعالجة الموضوع عن طريق الوحي والنبوة. ونظرًا لأن القرآن صرّح في مواضع عديدة بهذه الطرق أو أشار إليها، فنحن سنشير إليها فيما بعد تحت عنوان: «استدلالات القرآن حول العالم الآخر».

وليتضح رأي الإسلام في الحياة الخالدة والحياة الأخرى ندرس الموضوعات التالية:

- ماهية الموت.
- الحياة بعد الموت.
- عالم البرزخ.
- القيامة الكبرى.
- العلاقة بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى.
- خلود الأعمال وتجسّمها.
- أوجه الاشتراك والاختلاف بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى.
- استدلالات القرآن حول الحياة الأخرى.

ماهية الموت:

ما هو الموت؟

هل هو فناء وزوال وانهدام، أم هو تحول وتطور وانتقال من مكان إلى آخر ومن عالم إلى عالم آخر؟

هذا السؤال أشغل ذهن البشرية دومًا، فأناس ذهبوا للبحث عن جواب لهذا السؤال بأنفسهم، وأناس آمنوا بما أجاب عليه الآخرون.

نحن المسلمون نعود إلى القرآن الكريم لنأخذ منه الجواب على هذا السؤال، ومن الطبيعي فإننا نؤمن بهذا الجواب انطلاقًا من إيماننا بهذا الكتاب الإلهي.

القرآن الكريم له إجابته الخاصة على هذا السؤال، وله تعبيره

الخاص في الحديث عن ماهية الموت. فهو يستعمل كلمة «توفّي» غالبًا بدل كلمة «مات».

والتوفّي في اللغة هو الاستيفاء[1]، وتوفّى المال، أي استوفاه، أو أخذه كاملاً دون نقص. وهذا التعبير ورد في اثنتي عشرة آية من الذكر الحكيم. وجميعها تدل على أن الموت في نظر القرآن الكريم عملية استلام. أي استلام المَلَك الموكَّل شخصية الإنسان الحقيقية الكاملة لدى الموت. ومن هذا التعبير القرآني نستنبط مايلي:

آ: ليس الموت فناءًا وزوالاً وعدمًا، بل هو انتقال من عالم إلى عالم آخر، ومن نشأة إلى نشأة أخرى، وتستمر حياة الإنسان بنمط آخر.

ب: جسد الإنسان، بأعضائه وتوابعه، لا يمثل الشخصية الواقعية للإنسان ولا يعبّر عن «الأنا» الحقيقي للموجود البشري، لأن الجسد لا تُسلَّم إلى جهة أخرى، بل يبقى في هذا العالم ويتجزأ بالتدريج. والذي يمثل شخصيتنا الواقعية و«الأنا» الحقيقي هو ما يعبر عنه القرآن بالنفس حينًا وبالروح حينًا آخر.

ج: هذه الروح أو النفس تحتل ـ في مرتبتها الوجودية ـ أفقًا يسمو على أفق المادة والماديات. الروح أو النفس حصيلة التكامل الجوهري في الطبيعة لكن الطبيعة - على أثر التكامل

---

١ - توفي فلان وتوفاه الله: إذا قبض روحه.. الله يتوفى الأنفس حين موتها أي يستوفيها (لسان العرب، مادة/ وفي).

الجوهري وتبدلها إلى روح أو نفس ـ يتبدل أفقها الوجودي ومرتبتها الواقعية، وتسمو إلى مرتبة أعلى، أي تصبح من جنس عالم آخر هو عالم ماوراء الطبيعة.

بموت الإنسان تنتقل الروح أو النفس إلى نشأة من سنخ الروح. وبعبارة أخرى تتمّ لدى الموت عمليةُ تسليم تلك الحقيقة المتسامية على حقيقة المادة إلى بارئها.

القرآن الكريم أشار في بعض الآيات إلى وجود هذه الحقيقة المتسامية في الإنسان، والى أن هذه الحقيقة هي غير عنصر «الحمأ المسنون» الذي يتكون منه جسد الإنسان:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ .

مسألة الروح أو النفس، وبقاء الروح بعد الموت من أمهات المعارف الإسلامية. نصف المعارف الأصيلة الإسلامية تقوم على أساس أصالة الروح واستقلالها عن البدن وبقائها بعد الموت كما أن القيم الواقعية الإنسانية تستند إلى هذه الحقيقة، ولولا هذه الحقيقة لأضحت تلك القيم وهمًا محضًا.

الآيات القرآنية التي تتحدث عن الحياة بعد الموت تُصرحُ جميعًا أن الروح حقيقة مستقلة عن الجسد، وأنها تبقى بعد فناء البدن.

بعض المسلمين المتأثّرين بتيارات الفكر المادي الغربي ذهبوا إلى أن القرآن لا يقرّر وجود الروح، وأن الإنسان يفنى بعد الموت وينعدم إحساسه بأي شيء، فلا يشعر بسعادة ولا شقاء ويبقى على

حاله هذه حتى يوم القيامة إذ يعود الإنسان إلى الحياة الأخرى. وقال هؤلاء: أن كلمة الروح في الآية الكريمة: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ تعنى أمرًا آخر غير الروح الإنسانية، ودليلهم على ذلك أن هذه الكلمة وردت في آيات أخرى بمعان أخرى.

غير أن الآيات الكريمة التي تتحدث عن حياة الإنسان بعد الموت ترفض هذه النظرة. دليل القائلين بوجود الروح ليست الآية المذكورة أعلاه فحسب، بل ثمة ما يقارب من عشرين آية تحدثت عن الروح بعضها استعملت كلمة الروح مطلقة وبعضها استعملتها مضافة: مثل روحنا، وروح القدس وروحي، وكلها تشير إلى وجود حقيقة سامية غير عادية هي «الروح»[1].

ليس القرآن وحده أكد على أصالة الروح في آيات عديدة، بل السنّة أيضا أكدت على ذلك.

نذكر فيما يلي نماذج من الآيات التي عبّرت عن الموت بالتوفي، وتحدثت بعضها عن أعمال حياتية للإنسان بعد الموت كالكلام والتمني والطلب:

١ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾.

هذه الآية تتحدث عن المستضعفين الظالمي أنفسِهم، أي الفئة

---

١ - راجع تفسير «الميزان»، ج ١٣، ص ١٩٥، ذيل الآية الكريمة «قل الروح من أمر ربي» وج ٣، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٥، ذيل الآية الكريمة «يوم يقوم الروح والملائكة صفًا».

التي رضخت للجوّ الفاسد بحجّة عدم قدرتها على تغييره. والملائكة تصبّ اللوم على هؤلاء بعد موتهم، وترفض تبريراتهم، إذ إنهم قادرون على الهجرة من المحيط الفاسد على الأقل، وتحمّلهم مسؤولية ماحاق بهم من ظلم، بل وتعتبرهم في زمرة الظالمين. وتلك تذكرة لكل من يعيش في مثل هذه الأجواء.

هذه الآية تعبّر عن الموت أولا بالتوفي، وتتحدث ثانيًا عن حوار يدور بين الملائكة والإنسان في لحظات تلي الوفاة. وهذا الحوار له دلالة على أن الإنسان ـ بعد انتقاله من هذه الحياة - يتحدث إلى موجودات باسم الملائكة، بطريقة ـ طبعا _ غير الطريقة التي نألفها في هذه الحياة.

٢ -﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ، قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

هذه الآية تطرح إحدى شبهات منكري المعاد والحياة الأخرى. هؤلاء المنكرون يقولون أن أجسامنا تتفتّت وتتفرّق في الأرض بعد موتها، فكيف نحيى ثانية؟ القرآن الكريم ـ ضمن تأكيده على أن هذه الشبهة تنطلق من حالة نفسية تتمثل في روح الإنكار والعناد ـ يقول: أن شخصيتكم الواقعية ليست بشيء يفنى ويضيع، بل يستوفيها الملك الموكل من قبل الله.

ومثل هذه الشبهة يطرحها القرآن في مكان آخر ويردّ عليها بأنّ الله قادر على أن يعيد خلق الإنسان كما خلقه أول مرة:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

٣ - ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى أن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

هذه الآية الكريمة توضح التشابه والسنخية بين النوم والموت (وبين اليقظة والبعث ضمنيًا). النوم موت ضعيف صغير، والموت نوم شديد كبير. وفي كلا الحالتين تنتقل النفس الإنسانية من نشأة إلى نشأة أخرى، مع فارق هو أن الإنسان لا يعي على نفسه في النوم ولا يعلم عند اليقظة أنه عاد في الحقيقة من رحلة، لكنه يعي كلّ شيء عند الموت.

من مجموع الآيات الثلاث المذكورة يمكننا أن نفهم بوضوح أن ماهية الموت ـ في نظرة القرآن ـ ليست عدمًا وفناء، بل انتقالا من نشأة إلى نشأة أخرى.

مسألة النوم التي أشار إليها القرآن في الآية الأخيرة من المسائل المعقدة الغامضة أمام العلم. وما يستطيع العلم أن يفهمه عن النوم ـ وهكذا عن الموت ـ هو مجموعة التغييرات التي تحدث على فسلجة الجسم لا غير. أما التغيير الروحي في حالتي النوم والموت فلا سبيل للعلم أن يفهمه.

الاختلاف في الاجتهاد
ليس مبررا للإرهاب الفكري

حسن الصفار*

• إن السمة الغالبة على من يمارسون الوصاية الفكرية استثارتهم لانفعالات المتدينين وتجييشهم لعواطفهم، بعنوان حماية العقيدة والدفاع عن الثوابت والمقدسات • إننا بحاجة إلى تنوير العقول بالبحث العلمي والطرح المنطقي، وليس مجرد تجييش العواطف وإثارة الأحاسيس • إن الرسالات الإلهية تتعامل مع الإنسان باعتباره كائنًا عاقلاً مريدًا، ولذلك تحترم عقله وتتخاطب معه، وتراهن على الثقة به وحسن اختياره • لا يقبل الإسلام الإساءة إلى المخالف في الدين والرأي لمجرد مخالفته، ما لم يمارس عدوانًا يستلزم الردّ والردع • من أسوأ أمراض الساحة الدينية في مجتمعاتنا، ما يسود معظم أجوائها من حالات الصراع والخصام الداخلي • إن أساليب القمع والإرهاب الفكري لا تستطيع أن توقف زحف الرأي الآخر، بل قد تخدمه بإثارة الاهتمام به، وتكتل أتباعه للدفاع عنه، ولتعاطف الكثيرين مع ظلامتهم .

---

* -عالم ومفكر من المملكة العربية السعودية.

في مواجهة التحديات المعرفية الخطيرة أمام الفكر الديني، وفي مقابل الطوفان الثقافي العالمي الجارف الذي يقتحم كل زوايا مجتمعنا وغرف بيوتنا، ويستقطب بوسائله الإعلامية والمعلوماتية المتطورة اهتمامات أبنائنا وبناتنا، هناك حاجة ماسة لتكثيف العطاء الفكري والثقافي من قبل المرجعيات والجهات الدينية.

كما أن تطور الحياة وتقدم مستوى العلم والمعرفة يستوجب تطوير استراتيجيات الطرح الديني، وتجديد خطط التثقيف والتوجيه.

إن على الساحة الدينية أن تثبت قدرتها على مواكبة التغيرات والاستجابة للتحديات . وذلك لا يتحقق إلا بتوجيه الاهتمام نحو التحديات الكبيرة، وبتضافر الجهود نحو الأهداف المشتركة، أما الانشغال بالخلافات الجانبية والقضايا الجزئية، فإنه يشكل هروبًا من المعركة الأساس، ويضعف كل القوى الدينية.

لقد أصبحت حرية الرأي شعارًا ومطلبًا لكل المجتمعات والشعوب، وأصبح الانفتاح والحوار بين الحضارات والثقافات نهجًا يتطلع إليه عقلاء البشر على مستوى العالم، فكيف سيقدم المتدينون أنفسهم أمام الآخرين، وهم لا يتحملون بعضهم بعضًا، ولا يحتكمون للحوار في خلافاتهم، ولا يستطيعون التعايش فيما بينهم واحترام بعضهم بعضًا؟

إن السمة الغالبة على من يمارسون الوصاية الفكرية استثارتهم لانفعالات المتدينين وتجييشهم لعواطفهم، بعنوان حماية العقيدة والدفاع عن الثوابت والمقدسات، لكنهم لا يبذلون جهدًا يناسب التحديات المعاصرة في إيضاح أصول العقيدة، وكأن العقيدة تتلخص عندهم في القضايا الجزئية التي يختلفون فيها مع الآخرين، كما أن بعضهم يخلط الأوراق في تحديد الثوابت والمقدسات، وكأنها قضايا اعتبارية، فالثابت والمقدس ما يعدُّونه هم كذلك دون مقاييس واضحة متفق عليها.

إننا بحاجة إلى تنوير العقول بالبحث العلمي والطرح المنطقي، وليس مجرد تجييش العواطف وإثارة الأحاسيس.

طريق الأنبياء

إن الطريق المشروع والنهج الصحيح لنشر أي فكرة ومبدأ، هو عرضها بأحسن بيان، والدعوة إليها بالمنطق والبرهان، والجدال عنها بأفضل أساليب التخاطب مع العقول والنفوس، وذلك هو النهج الإلهي الذي قرَّره القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..... ﴾ .

كذلك فإن مواجهة الأفكار الباطلة، والآراء الخاطئة، يكون بنقدها ومناقشتها، وتسليط الأضواء على مكامن انحرافها، ونقاط ضعفها.

إن الرسالات الإلهية تتعامل مع الإنسان باعتباره كائنًا عاقلاً مريدًا، ولذلك تحترم عقله وتتخاطب معه، وتراهن على الثقة به وحسن اختياره.

كما ترفض أساليب الهيمنة وممارسة الوصاية الفكرية، بما تعني من تجاهل لدور العقل، ومصادرة لحرية الإنسان. فالتخاطب مع العقل لا يكون بلغة العنف والقمع، وإنما بمنطق الحجة والبرهان: ﴿ ...قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ...﴾ ﴿...هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا....﴾ ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ...﴾ ﴿ .لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ... ﴾.

تلك هي المبادئ الناظمة للمواجهة الفكرية، لإثبات حقانية الدين وبطلان ما عداه

ولا يقبل الإسلام الإساءة إلى المخالف في الدين والرأي لمجرد مخالفته، ما لم يمارس عدوانًا يستلزم الردّ والردع. كما لا ينصح الإسلام بالقطيعة مع المخالفين، بفصل وشائج العلاقات الإنسانية والاجتماعية معهم . بل على العكس من ذلك يوصي بالبر بهم والإحسان إليهم ما داموا مسالمين غير معتدين. يقول تعالى: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

وقد ورد في أسباب نزول هذه الآية أن أسماء بنت أبي بكر، قدمت عليها أمها وكان أبو بكر طلّقها في الجاهلية، فقدمت على ابنتها أسماء بهدايا : زبيب وسمن وقرظ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها بيتها، وأرسلت إلى عائشة : سلي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: « لتدخلها » . وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر قالت : قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله فاستفتيت رسول الله قلت : إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصل أمي ؟ قال : « نعم صلي أمك».

وفي وصية القرآن الكريم بالبر بالوالدين، يشير إلى أن واجب البر بهما، وحسن العلاقة معهما، لا يتأثر بالاختلاف الديني معهما، حتى وإن كانا يأمران الولد بالشرك بالله، يقول تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا....﴾ .

وكذلك الحال ينسحب على الأرحام والأقرباء، فإن الاختلاف الديني والفكري لا ينبغي أن يؤثر على مستوى التواصل معهم كأرحام، جاء عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه سأله الجهم بن حميد قائلاً : يكون لي القرابة على غير أمري ألهم عليّ حق؟ قال : « نعم حق الرحم لا يقطعه شيء».

إن على المسلم أن يلتزم حسن الخلق مع كل من يتعامل ويتعاطى معه، حيث ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه

قال : «أحسن صحبة من صاحبك تكن مسلمًا »، وجاء عن حفيده الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : « ليس منا من لم يحسن صحبة من صحبه، ومرافقة من رافقه».

مرض الساحة الدينية

من أسوأ أمراض الساحة الدينية في مجتمعاتنا، ما يسود معظم أجوائها من حالات الصراع والخصام الداخلي، وسعي بعض الجهات لممارسة دور الوصاية على أفكار الآخرين . فما تراه هي هو الحق المطلق الذي لا يجوز لأحد الخروج عليه، وإلا استحق النَّبذ والطرد، والمحاصرة والإلغاء، وأصبح مستهدفًا في وجوده المادي والمعنوي.

نجد ذلك واضحًا في الخلافات المذهبية، حيث تتبادل الأطراف مع بعضها تُهَم التكفير والتبديع والمروق من الدين، ويجري التحريض على الكراهية في أوساط الأتباع، وقد يصل الأمر إلى إباحة هدر الدماء وانتهاك الحقوق والأعراض.

كما نجد ذلك على مستوى الخلافات داخل المذهب الواحد، حين تتعدَّد المدارس، وتختلف الآراء في بعض التفاصيل العقدية والفقهية في إطار المذهب نفسه.

إن اعتقاد كل طرف صواب رأيه وخطأ الرأي الآخر أمر مقبول، بناءً على مشروعية حق الاجتهاد، لكن إنكار حق

الطرف الآخر في الاجتهاد وإبداء الرأي، والتعبئة ضده بالتشكيك في دينه والحكم بفساد نيته، هو مزلق خطير يؤدي إلى تمزيق الساحة الدينية، وتشويه سمعتها، ودفع أبنائها إلى الصراع والاحتراب، كما حصل بالفعل.

إن التعبير عن الرأي الاجتهادي عقديًّا وفقهيًّا ضمن الضوابط المقررة أمر مشروع، وحق مكفول للجميع، ولا يصح أن تحتكره جهة وتصادره من الآخرين، فإن ذلك إرهاب فكري، وإغلاق فِعليٌّ لباب الاجتهاد، وحرمان للساحة العلمية من الثراء المعرفي.

أما الحذر من وجود آراء خاطئة، وطروحات منحرفة، تخالف المعتقدات السائدة، والاتجاهات الفقهية المشهورة، فهذا لا يقف أمامه القمع والتهريج، وإنما المواجهة العلمية الفكرية، التي تثبت ضعف الرأي الآخر وخطأه، ومكامن الانحراف والثغرات فيه، وتظهر صحة الرأي المتين وأصالته، وتعالج الإشكالات المثارة حوله .

إن أساليب القمع والإرهاب الفكري لا تستطيع أن توقف زحف الرأي الآخر، بل قد تخدمه بإثارة الاهتمام به، وتكتل أتباعه للدفاع عنه، ولتعاطف الكثيرين مع ظلامتهم بسبب ما يستهدفهم من قمع وتشويه، وبخاصة في هذا العصر الذي سادت فيه شعارات الحرية والانفتاح، وتطلعات التغيير والتجديد.

إن تمزيق صفوف المؤمنين وتحويل ساحتهم إلى خنادق للصراع

والاحتراب، ودفعهم إلى انتهاك حرمات بعضهم بعضًا، وإسقاط كل طرف وتشويهه لرموز وشخصيات الطرف الآخر، جريمة أكبر وخطر أعظم من وجود رأي في قضية جزئية نعدّه خاطئًا باطلاً.

ثم إن تعاليم الإسلام وأخلاقياته، وسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) والصحابة الأخيار لا تقبل مثل هذه الأساليب ولا تتطابق معها.

وهناك روايات وردت عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يحذِّرون فيها أتباعهم من نهج الإقصاء والإلغاء لبعضهم بعضًا على أساس الاختلاف في بعض الجزيئات العقدية.

جاء عن يعقوب بن الضحاك، عن رجل من أصحابنا سرّاج وكان خادمًا لأبي عبدالله الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال : جرى ذكر قوم عند أبي عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام)، فقلت : جعلت فداك إنّا نبرأ منهم، إنهم لا يقولون ما نقول.

قال : فقال (عليه السلام) : يتولّونا ولا يقولون ما تقول تبرؤون منهم ؟

قال : قلت : نعم قال (عليه السلام) : فهوذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم ؟ قال : قلت : لا ـ جعلت فداك ـ قال (عليه السلام) : وهوذا عند الله ما ليس عندنا أفتراه

أطرحنا؟ قال : قلت : لا والله جعلت فداك، ما نفعل ؟

قال (عليه السلام): فتولّوهم ولا تبرؤوا منهم، إن من المسلمين من له سهم، ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثة أسهم ؛ ومنهم من له أربعة أسهم، ومنهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستة أسهم، ومنهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة، ولا صاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة.

وعن عبدالعزيز القراطيسي قال: قال لي أبو عبد الله الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : يا عبدالعزيز إن الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنّ صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء، حتّى ينتهي إلى العاشر، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملنّ عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنّ من كسر مؤمنًا فعليه جبره.

وعن الصباح بن سيابة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) : قال: ما أنتم والبراءة، يبرء بعضكم من بعض، إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ

بصرًا من بعض، وهي الدّرجات .

الأخلاق أعظم ساحة للتقريب

القسم السابع : هتك الحجب

سيد هاشم الرسولي المحلاتي *

• الإنسان هو القادر على أن يسيطر على غرائزه الحيوانية بعد أن تنمو فيه الملكات الإنسانية، أما إذا لم تنم هذه الملكات فهو ليس بأكثر من حيوان، بل هو «أضل» من الحيوان • لا يوجد في قاموس الحيوان معنى للعدل والأنصاف، ورعاية حق الضعيف، وتشخيص الصالح والطالح، وأمثال هذه المفاهيم الإنسانية السامية • الله سبحانه شاء أن يكرم ابن آدم ولذلك منحه كل ما يمكنه من ضبط النفس ويصده عن الوقوع في عالم البهيمة • وحينما تتحكم الشهوات في الإنسان المخمور تجره إلى كل الرذائل وتجعله ينسى شخصيته الإنسانية واتزانه ووقاره وعفته • نوادي القمار والميسر العالمية في مونتكارلو ولندن وواشنطن تنشر إعلانات ضخمة تبدي استعدادها لاستقبال

* - عالم دين إيراني.

عصم الإنسان

احد أخطار الذنوب على المجتمع البشري هتك الحجب التي تستر الروح البهيمية في الكائن البشري، وقد جاء التعبير عن هذه الحجب الساترة في الأحاديث بصور مختلفة.

عن الصادق(ع): «ان لله تبارك وتعالى على عبده المؤمن أربعين جُنّة، فمتى أذنب ذنبًا كبيرًا رفع عنه جُنة».

وعن رسول الله(ص): «للمؤمن اثنان وسبعون سترا، فإذا أذنب ذنبا انتهكت عنه ستر..».

وفي الدعاء المروي بطريق كميل بن زياد عن أمير المؤمنين(ع) جاء: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم».

من الواضح ان هناك مجموعة من الغرائز المشتركة بين الإنسان والحيوان، أودعها الله سبحانه لحكمة في الإنسان أيضا كما أودعها في الحيوان لتكون وسيلة لوصول هذه الموجودات الحية إلى كمالها المطلوب، وهذه الغرائز في الإنسان هي من شؤون النفس الإنسانية.

يولد الإنسان والحيوان وهما مجهزان بهذه الغرائز، ومن أبرزها: حب الذات وشهوة الطعام والجنس والغضب والدفاع. والفارق بين الإنسان والحيوان في هذا المجال هو أن الإنسان بتكامله العقلي والفكري والتربوي التدريجي يسلم عنان غرائزه

بيد تعقّله ويجعل النفس الناطقة الإنسانية هي المتحكمة في وجوده، أما الحيوان فيعيش بغرائزه الحيوانية من ولادته حتى وفاته.

الإنسان هو القادر على أن يسيطر على غرائزه الحيوانية بعد أن تنمو فيه الملكات الإنسانية، أما إذا لم تنم هذه الملكات فهو ليس بأكثر من حيوان، بل هو «أضل» من الحيوان.

ومثل هذه الأحاديث كثيرة، ومن أجل أن يتجلى مفهوم العِصَم والجُنَّة ونظائرهما من الكلمات التي تعني الحجب الحائلة دون السقوط في الذنوب نعرض لها بمقدمة.

الجسم والروح

الجسم هو الأعضاء الظاهرية في بدن الإنسان، والروح هي القوة المحركة والموجهة لهذه الأعضاء. وفي النصوص الإسلامية ورد التعبير عن الروح بالنفس تارة وبالقلب تارة أخرى.

بعض العلماء قسم الموجود الإنساني إلى جسم وروح ونفس، فاعتبر النفس واسطة بين الجسم والروح، ولا يهمنا هذا التقسيم، بل نكرس حديثنا عن النفس سواء كانت هي الروح نفسها أم كانت غيرها.

لا يوجد في قاموس الحيوان معنى للعدل والأنصاف، ورعاية حق الضعيف، وتشخيص الصالح والطالح، وأمثال هذه المفاهيم الإنسانية السامية. هدف الحيوان أشباع غرائزه حتى ولو أدى ذلك

إلى ظلم أبناء نوعه.

طالما نرى طائرًا يجهد ساعات طوالا في الأوحال بحثًا عن طعمة له، وما إن يحصل عليها حتى يهجم عليه طائر آخر فيضربه بمنقاره على رأسه، وبذلك تسقط الطعمة من فم الطائر الباحث ليلتقطها الطائر المهاجم.

وهكذا قد نرى كلبًا ينهش في أشلاء حمارميت، فيأكل منه حتى يبلغ منه الطعام الحلقوم، لكنه لا يسمح لكلب آخر أن يشاركه في تلك الجيفة.

يقول علي (ع):

«إن البهائم همها بطونها وإن السباع همها العدوان على غيرها...».

ويقول (ع) في رسالة له إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف: «أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكارة الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش!! فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها أو المرسلة شغلها تقممها، تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها».

وإمام هذه الخصال الحيوانية الموجودة في الإنسان تقف الصفات الإنسانية السامية لتغطي على تلك الخصال ولتعطي الإنسان ميزة عن الحيوان ولتجعله موجودًا ملتزمًا بقيم لا توجد في حياة الحيوان. أما حينما يطلق الكائن البشري لشهواته العنان،

فـإن هـذه الشـهوات تطغـى وتمـزق مـا عليهـا مـن حجـب وسـتائر إنسانية، وتحوّل الفرد إلى وحش أين منه وحوش الغاب!!

اللّه سـبحانه شـاء أن يكـرم ابـن آدم ولـذلك منحـه كـل مـا يمكنه من ضبط النفس ويصده عن الوقوع في عالم البهيمة، ومن ذلـك: «الحيـاء». فالحيـاء خصـلة إنسـانية تـدفع الإنسـان نحـو المكرمـات وتبعـده عـن السـيئات، وهـذا المفهـوم يوضـحه حـديث المفضل بن عمر عن الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) حيث يقول:

«انظر يا مفضل إلى ما خص به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق، الجليل قدره، العظيم عناؤه، أعني الحياء، فلولاه لم يُقر ضيفٌ ولم يوف بالعِدات ولم تقض الحوائج ولم يتحرَّ الجميل ولم يتنكـب القبـيح في شـيء مـن الأشـياء، حتـى أن كـثيرًا مـن الأمور المفترضة إنما تفعل للحياء، فإن في الناس من لولا الحياء لم يـرع حـق والديـه ولم يصـل ذا رحـم ولم يـؤد أمانـة ولم يعـفَّ عـن فاحشة».

والروايات التي مرت بنا في مقدمة البحث تصرح بأنّ الذنوب تهتك العصم وتزيل الحجب التي تمنع الإنسان من السقوط في البهيمية.

أي الذنوب يهتك العصم؟

نكتفي هنا بذكر الذنوب التي جاءت في حديث الإمام

السجاد(ع)، ثم نتحدث بإيجاز عن دورها في دفع الإنسان نحو البهمية، تاركين التفاصيل إلى فرصة أخرى.

قال علي بن الحسين عليه السلام: «الذنوب التي تهتك العصم:

شرب الخمر.

واللعب بالقمار

وتعاطي ما يضحك الناس من اللغو والمزاح

وذكر عيوب الناس

ومجالسة أهل الرّيب»

وسنوضح كل واحد من هذه الذنوب:

١ -شرب الخمر

هو أول الذنوب الدافعة نحو الانغماس في الرذائل، والسبب في ذلك واضح، فهي تسلب الإنسان قواه الإرادية التي يضبط بها شهواته، وبذلك ينتهك ستار حيائه وتستفحل شهواته، وتصبح الساحة خالية لسيطرة الشهوات فتسير الإنسان وتصيره وحشًا كاسرًا.

يقول الإمام علي بن موسى الرضا(ع):

«إن الله تعالى حرّم الخمر لما فيها من الفساد وبطلان العقول في الحقائق وذهاب الحياء من الوجه».

وعنه أيضا: «... وحرم الله عزوجل الخمر لما فيها من الفساد

ومن تغييرها عقول شاربيها، وحملها إياهم على إنكار الله عزوجل، والفرية عليه وعلى رُسُله، وسائر ما يكون منهم من الفساد والقتل والقذف والزنا وقلة الاحتجاز عن شيء من المحارم...».

وروى حماد بن بشير عن الإمام الصادق(ع) عن رسول الله(ص) قول: «لا يزال العبد في فسحة من الله حتى يشرب الخمر فإذا شربها خرق الله عنه سرباله وكان وليه وأخوه إبليس، وسمعه وبصره ويده ورجله يسوقه إلى كل شر ويصرفه عن كل خير».

وحينما تتحكم الشهوات في الإنسان المخمور تجره إلى كل الرذائل وتجعله ينسى شخصيته الإنسانية واتزانه ووقاره وعفته، ولذلك قال رسول الله(ص) عن الخمرة:

«الخمر ام الخبائث».

وقال الإمام محمد بن علي الباقر(ع): «إن الله عزوجل جعل للشر أقفالا وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب...».

نعم... إن الخمرة مفتاح كل الرذائل والموبقات والجرائم، لانّ:

«شارب الخمر إذا شرب زنى وسرق وقتل النفس التي حرّم الله عزوجل وترك الصلاة». كما جاء في حديث رسول الله(ص) لامير المؤمنين علي(ع).

جدير بالذكر أن عقلاء العالم أدركوا – ولو بمعزل عن المؤثرات الدينية – اضرار الخمرة. فأُثر عن عقلاء العرب في

العصر الجاهلي امتناعهم عن تناولها على الرغم من شيوعها وانتشارها في الجزيرة العربية.

روي ان قيس بن عاصم احتسى الخمرة ليلة ففقد صوابه وارتكب مالا يليق به، ثم أفاق، فندم وحرّم الخمرة على نفسه وقال:

رأيت الخمر صالحة وفيها خصال تفسد الرجل الحليما
فلا – والله – أشربها صحيحًا ولا أشفي بها أبدًا سقيما
ولا أعطي بها ثمنا حياتي ولا أدعو لها أبدًا نديما
فإن الخمر تفضح شاربيها وتورثُهم بها الأمر العظيما

وروي عن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قوله:

«ما شربت خمرًا قط لأني علمت أني إن شربتها زال عقلي، وما كذبت قط لأن الكذب يذهب بالمروّة، وما زنيت قط لأني خفت أني إذا عملت عُمل بي، وما عبدت صنمًا قط لأني علمت أنه لا يضر ولا ينفع».

ولهذه الخصال الأربع أثنى الله عليه عن طريق الوحي إلى النبي الكريم.

ومثل هذا الامتناع عن شرب الخمر ورد عن عباس بن مرداس وعثمان بن مظعون ومقيس بن قيس.

وفي عصرنا الراهن تجمع التقارير الصحية والجنائية على أن الخمرة عامل كبير في الإصابة بألوان الأمراض وفي ارتكاب

أنواع الجرائم وفي وقوع أفظع الحوادث الدامية المؤلمة.

ولا حاجة بنا لأن نستعرض الأرقام والإحصائيات بهذا الشأن فهي تملأ أعمدة الصحف العالمية يوميًا، ولذلك حاولت بعض البلدان الغربية أن تمنع الخمر في مجتمعها وبذلّت لذلك الأموال الطائلة وجهزة كل وسائل إعلامها، لكنها فشلت بسبب عدم وجود الرادع الديني في العملية. وهكذا بلدان الكتلة الشرقية تصب يوميا آلاف اللعنات على الخمرة وتعتبرها من مخلفات عصور البرجوازية والرأسمالية، ولكنها لا تملك القدرة على ان تقي شعوبها من مأساة احتساء الخمرة لأن هذه الخمور أفقدتهم الإرادة، وأصبحوا متورطين في أوحالها.

٢ -القمار

من العوامل الأخرى التي تهتك عصم الإنسان القمار كما جاء في الحديث الشريف.

والقمار يقوم أساسًا على ربح عفوي وعلى خسارة عفوية، فعن طريقه يثري الإنسان بالصدفة فيرى أنه امتلك مالا كثيرًا دون جهد ودون عناء، ومثل هذا المال يفقد الإنسان صوابه ويسلبه قدرة التحكم فيما كسب فتسوقه شهواته إلى تبذير هذا المال في الفساد والموبقات، أو في القمار مرة أخرى.

وعن طريق القمار أيضا يفقد الإنسان مالَه فجأة فيضطرم في نفسه الحقد والبغضاء تجاه الرابح، وكثيرًا ما يؤدي الأمر إلى

نزاعات دموية انتقامية.

أضف إلى ذلك أن القمار يجعل القلوب متصارعة متنافرة، فطاولة القمار تحوّل الجالسين حولها إلى وحوش كل منهم يريد أن يدحر صاحبه وينهش من لحمه ويشرب من دمه. وما أجمل تعبير القرآن في هذا المجال حيث يقول:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾.

ومن المؤلم أن القمار في عالمنا أصبح وسيلة لانتهاك حرمات الشعوب ومقدرات الأمم المستضعفة. فنوادي القمار والميسر العالمية في مونتكارلو ولندن وواشنطن تنشر إعلانات ضخمة تبدي استعدادها لاستقبال «الشخصيات العربية» ولابد أن هذه النوادي تستقبل الشخصيات غير العربية أيضا من المسيطرين على مقدرات عالمنا الإسلامي. والله يعلم ما يجري داخل هذه النوادي من صفقات تباع فيها الشعوب وتشترى بثمن بخس دراهم معدودات تنفقها هذه الشخصيات «المرموقة جدا»! على طاولة القمار!! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣ -الهزل والمزاح

ثالث الذنوب التي ذكرها الحديث من التي تزيل الحجب وتهتك العصم: «تعاطي ما يضحك الناس من اللغو والمزاح».

ويصف رسول الله(ص) مدى الهوة التي يسقط فيها مثل هذا

الإنسان فيقول:

«إن الرجل ليتكلم بكلمة فيضحك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا».

ولكي نفهم أثر المزاح والهزل في هتك حجب الحياء والعفة والوقار نذكر هذه الأحاديث:

قال رسول الله(ص): «كثرة المزاح تذهب بماء الوجه».

وعن أبي محمد الحسن بن علي العسكري(ع) قوله: «لا تُمار فيذهب بهاؤك، ولا تمازح فيُجترأ عليك».

وعن حمران بن أعين قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي الباقر(ع) فقلت: أوصني، فقال: «أوصيك بتقوى الله وإياك والمزاح فإنه يذهب هيبة الرجل وماء وجهه».

وعن علي(ع) قال: «لا تمازحنَّ صديقًا فيعاديك ولا عدوًا فيؤذيك».

وفي حديث آخر: «من كثر مزاحه لم يخل من حقد عليه أو استخفاف به».

ومن وصية له (ع) إلى ولده الحسن: «... المزاح يورث الضغائن».

من كل ما ذكر يتبين لنا أن المزاح الكثير يؤدي إلى خفة في المازح تبعده عن شخصيته المتزنة وعن وقاره، فينزلق إلى ارتكاب ذنوب ما كان يرتكبها لو بقيت سُتُر الحياء والوقار قائمة في نفسه. كما أن هذه الخصلة تستفزُّ الآخرين وتدفعهم إلى المجابهة والمقابلة بالمثل، فتحدث آنئذ العداوات والضغائن، وتؤدي إلى مالا

تحمد عقباه.

وفي سيرة المعصومين نجد إنكارًا على هذا اللون من السلوك ونهيًا عنه.

هذا الحكم بن أبي العاص (أبو مروان الذي أصبح أبناؤه فيما بعد خلفاء للمسلمين!!) كان يناصب الرسول والرسالة العداء، وكان يمشي خلف الرسول في مكة فيقلد مشيته استخفافًا واستهزاء، والرسول لا يعبأ به. وفي مرة التفت الرسول إليه وهو مشغول بالتقليد، فقال له: «كن كذلك». فبقي إلى آخر عمره في حالة ارتعاش.

والامام علي بن الحسين(ع) التقاه يومًا بطّال في المدينة فعمل ما عمل حتى يضحك الإمام، لكن الإمام واصل سيره ولم يلتفت إليه، واكتفى بأن قال لأصحابه، قولوا له: «إن لله يومًا يخسر فيه المبطلون».

ولعلماء النفس المعاصرين اليوم دراسات حول شخصية المستهزئين والساخرين تتجه إلى تفسير هذه الظاهرة بأنها ناتجة عن عقدة نقص في الفرد يحاول أن يجبرها بكسر شخصية الآخرين، بعد أن فشل في جبرها بمهارة فنية أو عمل إنساني. وهذه الحالة توجد في الأفراد على اختلاف أعمارهم.

٤ -تتبع عيوب الآخرين

وهذا رابع الذنوب التي ذكرها الإمام السجاد في حديثه. ولسنا

بصدد استعراض كل الآثار السيئة لهذا العمل الشنيع. بل نكتفي بما ذكره الإمام عليه السلام من اثر لهذا الذنب في هتك الحجب وإزالة الستر.

جدير بالذكر أن ذكر عيوب الآخرين يكون ذنبًا ويكون سلبيًا حينما ينطلق من نفس همّازة لمّازة مريضة، اما إذا انطلق من نفس ناصحة ملتزمة بقواعد النصيحة والاصلاح فليس بذنب بل واجب كل إنسان مسلم تجاه أخيه المسلم.

قال علي(ع): «من بصّرك وحفظك في غيبك فهو الصديق فاحفظه، ومن ساترك عيبك وعابك في غيبك فهو العدو فاحذره».

وقال في حديث آخر: «شر إخوانك من داهنك في نفسك وساترك عيبك».

وقال أيضًا: «من أبان لك من عيوبك فهو ودودك، ومن ساتر عيبك فهو عدوّك».

والمعصومون عليهم السلام شجعوا أصحابهم على تذكيرهم بعيوبهم كي تكون سنة حسنة بين المؤمنين. قال الصادق(ع): «أحبّ إخواني اليّ من أهدى إليّ عيوبي».

وهذه السنة الحميدة لا يمكن طبعًا أن تطبق الاّ في جوّ إيماني مليء بالثقة المتبادلة بين الأفراد، وخال من الأحقاد والضغائن بينهم، ومفعهم بروح التربية التي تجعل الأفراد طموحين لأن يتكاملوا ولأن يزيلوا من أنفسهم عيوبهم ويستزيدوا من الأخلاق الفاضلة الكريمة.

فالمذموم في ذكر العيوب إذن هو الذي ينطلق عادة من روح طعّانة لعّانة تحاول أن تسيء إلى الآخرين وتنقص منهم وتشيع الفاحشة في المجتمع. ولا يخفى ما لهذا السلوك من أثر في خرق حجب الاحترام المتبادل بين الأفراد، وفي نسيان الإنسان عيوب نفسه بعد الانشغال بعيوب الآخرين، ومن انتهاك للسُتُر المسدولة على المعايب الموجودة بدرجة وأخرى في أفراد المجتمع.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ...﴾.

وروى الإمام الصادق(ع) عن رسول الله(ص) أنه قال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، ولا تذموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله تعالى عورته يفضحه ولو في بيته».

وقال علي(ع): «من تتبع خفيات العيوب حرمه الله سبحانه مودّات القلوب».

وعن الصادق(ع): «قال عليّ عليه السلام: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس».

وقال في حديث آخر: «أكثر العيب أن تعيب غيرك بما فيك».

وقال في موضع آخر: «شر الناس من كان متتبعًا لعيوب الناس عميًا عن معايبه».

لو انكسرت عفة لسان فرد في المجتمع فإنه يصبح مصدرًا لاغتيال شخصية أفراد ذلك المجتمع، ويسلب الأمن الاجتماعي

منه. ومن الطبيعي أن يسود بين الافراد خوف من هذا اللسان السليط، وقد يؤدي الأمر إلى التملق لصاحب هذا اللسان خوفاً من لدغته، وبالتالي إلى ظهور علاقات غير طبيعية بين الافراد، ولذلك ورد عن رسول الله(ص) أنه قال: «شر الناس عند الله يوم القيامة الذين يُكرمون اتقاء شرّهم».

وقال (ص) أيضا في وصيته لعلي(ع): «يا علي ألا انبئك بشر الناس؟ قلت: بلى يا رسول الله ! قال: من لا يغفر الذنب، ولا يقيل العثرة، ألا أنبئك بشرّ من ذلك؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: من لا يؤمن شره، ولا يرجى خيره».

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) قال: «من خاف الناس لسانه فهو في النار».

٥ -مجالسة أهل الريب

وهو خامس الذنوب التي تهتك العصم كما ورد في الحديث.

ولا يخفى ما لأثر معاشرة الفاسدين في انهيار شخصية الإنسان في داخل نفسه وفي مجتمعه. فعلى صعيد المحتوى الداخلي يتأثر الإنسان بمحيطه انطلاقًا من الطبيعة الاجتماعية الاقتباسية للإنسان، فيقتبس من محيطه الفاسد ما يحرفه وما يزيل حجب الحياء والعفة من وجوده. وعلى الصعيد الخارجي تتلوث سمعة الإنسان حين يعاشر أهل الريب، وتسقط شخصية الإنسان

الاجتماعية، وتسقط معها كل الحدود والقيود الاجتماعية التي تؤطّر نشاط الإنسان وتمنعه من الانزلاق .

ولذلك روي عن رسول الله(ص) قوله: «أولى الناس بالتهمة من جالس أهل الريب فهو مريب».

وقال في حديث آخر: «لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا كواحد منهم».

وعن أمير المؤمنين علي(ع) قال: «من وقف نفسه موقف التهمة فلا يلومنّ من أساء به الظن».

ملخص القسم السادس

١ – الذنوب تهتك العصم.

٢ -العصم هي الحواجز والأطر التي تميز بين الإنسان والحيوان.

٣ -الذنوب تقضي على الفضائل الإنسانية في الموجود البشري وتحوّله إلى وحش كاسر.

٤ -الذنوب التي تهتك العصم كما جاء في رواية الإمام السجاد خمسة هي: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وتعاطي الهزل، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب.

إيران -العراق

بمناسبة ذكرى سقوط الطاغية

• رغم الصراع الصفوي العثماني لم تنقطع بل لم تضعف هذه العلاقات بين الشعبين • نظام صدام مارس منذ سيطرته على السلطة سياسة تتجافى حتى مع مبادئ البعث فضلاً عن المبادئ الإنسانية والوطنية • الحرب المفروضة كانت حربًا عالمية ضد إيران. غير أن دولة الإسلام الفتية كانت تحمل في دمها قدرة مقاومة شعبية هائلة، حالت دون تحقيق طموحات صدام • بعد سقوط صدام تبذل جهود إقليمية وعالمية واسعة لفصل إيران عن العراق وإعادة التوتر في العلاقات الإيرانية العراقية • توجّه الإعلام المعادي إلى تصوير نظام صدّام بأنه يمثل حكومة أهل السنّة وايران «تعاونت»!! مع أمريكا لإسقاط النظام السنّي وإحلال حكومة شيعيّة!! • نظام صدّام نظام دموي لم يرحم علماء السنّة ولا الشيعة في العراق • مواقف إيران الإسلام الدولية تثبت أنها لا تنطلق من دافع طائفي، بل من إيمان رسالي • الفتن الطائفية في العراق سوف توفّر المبرّر لبقاء الاحتلال واستمراره .

على الصعيد الشعبي لا يوجد شعبان متجاوران في العالم بينهما من العلاقات الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية – فيما

نعلم – كما بين إيران والعراق.

كثير من الأسر نصفها في إيران ونصفها في العراق، والتزاوج والتثاقف بين الشعبين واسع.. حتى الذوق في الطعام والسكن والعادات والتقاليد مشترك إلى حدّ كبير.

وإذا كانت الكوفة والبصرة وبغداد من أهم مراكز البناء الحضاري في العصور الإسلامية الأولى، فإن ساحة هذه البلدان تشهد أن التعاون والتثاقف الايراني العربي كان من أهم عوامل ذلك البناء الحضاري.

رغم الصراع الصفوي العثماني لم تنقطع بل لم تضعف هذه العلاقات بين الشعبين، واستمرّ التواصل العلمي والثقافي والاجتماعي، لكنّ ممارسات الولاة العثمانيين بدأت تؤسس لخلافات بين العراق وايران.

أثيرت مسائل تخطيط «الحدود» بين البلدين وهذه المسألة تمّ حسمها بمعاهدة ترسيم الحدود وتقسيم المياه المشتركة في العصر العثماني.

واستمرت العلاقات بين البلدين في العصر الملكي، وحدثت بعض الجفوة في بداية العصر الجمهوري، ثم عادت المياه إلى مجاريها الطبيعية، ولم يتأثّر العراق آنذاك كثيرًا بالمدّ القومي العربي الذي حاول أن يثير العصبيات العربية الفارسية.

غير أن الأمور بدأت تتجه نحو التوتر مع تولّي البعث العراقي سلطة العراق. هذا النظام مارس منذ سيطرته على السلطة سياسة

تتجافى حتى مع مبادئ البعث فضلاً عن المبادئ الإنسانية والوطنية. كانت ثمة حرب غير معلنة بينه وبين إيران ولكن من خلال الساحة الكردية، وانتهت باتفاقية الجزائر.التطوّر الخطير في العلاقات كان بانتصار الثورة الإسلامية في إيران وسيطرة «صدام» على سدة الحكم في العراق.

كانت إيران تعيش بداية الثورة في وضع منفرط عسكريًا واقتصاديًا، وكانت القوى الكبرى ساخطة والقوى الاقليمية مرعوبة. استغل صدام الفرصة وشنّ حربًا ظالمة على إيران ساندته فيها كل العالم إلاّ ما ندر. كانت حربًا عالمية ضد إيران. غير أن دولة الإسلام الفتية كانت تحمل في دمها قدرة مقاومة شعبية هائلة، حالت دون تحقيق طموحات صدام.

وسارت الأمور بسرعة نحو سقوط الطاغية، فسقط ولكن حلّ الشيطان الأكبر محل الشيطان الأصغر.

وبعد السقوط تبذل جهود إقليمية وعالمية واسعة لفصل إيران عن العراق وإعادة التوتر في العلاقات الإيرانية العراقية، ولأن هذه الجهود تتضمّن فيما تتضمّن المسألة الطائفية، نقف عندها بمقدار ما يرتبط بهذه المسألة.

توجّه الإعلام إلى تصوير نظام صدّام بأنه يمثل حكومة أهل السنّة وايران «تعاونت»!! مع أمريكا لإسقاط النظام السنّي وإحلال حكومة شيعيّة!!

هذه الإثارة الطائفية مرفوضة للأسباب التالية:

١ – إن نظـام صـدّام نظـام دمـوي لم يـرحم علمـاء السـنّة ولا الشـيعة في العـراق، فقـد قتـل العـالم السـني (عبـدالعزيز البـدري) كما قتل العالم الشيعي (محمد باقر الصدر)، بل قتل كل من تشمّ منه رائحة معارضة بما في ذلك القادة البعثيين وأفراد العائلة الصدامية.

٢ – إن الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة بكـل مـا أنزلـه نظـام صدّام من جراح فيها، تعالت على الجراح قبل الغزو الامريكـي، وحاولت مباشرة وبصورة غير مباشرة عن طريق أصدقائها أن تحول دون سـقوط صـدام بيـد الأمريكـان ودون فسـح المجـال لأمريكـا بغزو العراق. ومثل ذلك فعلته حين غـزا العـراق الكويت. إذ طلبت منـه الانسـحاب حتـى لا تتـوفر الفرصـة لتـدخل أمريكـي. وهـذه حقائق يعرفها المراقبون، وإن كانت محاطة بالتعتيم.

٣ – إن تعـاون الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة مـع الحكومـة القائمة في العراق اليوم لا ينبثق من موقف طائفي، بل من ضرورة قبول ما قبله الشعب العراقي في انتخاباته الحرّة.

ومواقـف إيـران الإسـلام الدوليـة تثبـت أنهـا لا تنطلـق مـن دافـع طـائفي، بـل مـن إيمـان رسـالي، ومـن مفـردات هـذه المواقـف في فلسـطين، البوسـنة والهرسـك، الجزائـر، مصـر، أفغانسـتان.. وغيرها كثير.

٤ - إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية بذلت كل ما في وسعها وبجميـع مـا تمتلكـه مـن سـبل للحيلولـة دون وقـوع فتنـة طائفيـة في العـراق بعـد سـقوط صـدام. ونجحـت في ذلـك بدايـة.. لكـنّ الخطـة

كما كان متوقعًا اتجهت إلى نزاعات طائفية. وفي خضمّ هذه النزاعات حاولت جاهدة من خلال المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ومن خلال أصدقائها في العراق أن تبثّ الوعي الرسالي بين الفرقاء، وأن تقدّم لهم تجارب الجمهورية الإسلامية الإيرانية تجاه الفتن الطائفية وكيفية التغلب عليها.

٥ - إن الفتن الطائفية في العراق سوف توفّر المبرّر لبقاء الاحتلال واستمراره، وهذا ما يشكل خطرًا على أمن إيران وأمن المنطقة.

٦ –الفتن الطائفية في العراق ستمتدّ – وامتدّت عمليًا – إلى أجزاء أخرى من العالم الإسلامي وهذا يبدّد ما تبذله الجمهورية الإسلامية من جهود لتوحيّد صفّ المسلمين ي مواجهة التحديات الراهنة.

من كل ما سبق نفهم أن مصلحة إيران والعراق ارتبطت بعد الاحتلال في المحاور التالية:

١ – إنهاء الاحتلال

٢ - مساعد الشعب العراقي للخروج من محنة الدمار الشامل.

٣ – مساعدة الشعب العراقي للتغلب على الاثارات الطائفية.

٤ –المحافظة على وحدة العراق.

٥ - تحويل الحدود بين إيران والعراق إلى حدود سلام وتعاون وتعاضد من أجل المحافظة على عزّة الشعبين وكرامتهما وهويتهما بل عزّة الأمة الإسلامية جمعاء.

إيران – نظام صدّام

بمناسبة ذكرى سقوط الطاغية

• أصبحت إيران العائدة إلى الدائرة العربية الإسلامية في إعلام صدام بلد «الفرس المجوس» والمقصود بالفرس إثارة الأحقاد القومية، والمقصود بالمجوس إثاة النعرات الطائفية • الحرب المفروضة صُوّرت في إيران على أنها حرب أمريكية – صهيونية ضد الإسلام، ولم يرتفع إطلاقاً شعار طائفي أو قومي على لسان الايرانيين حتى المتطرفين منهم

نقف عند العلاقات الإيرانية – العراقية بمقدار ما يهم دائرة اهتمام «ثقافة التقريب»، وفي فترة التأجيج الطائفي بين البلدين بعد إقامة دولة الإسلام في إيران.

من الواضح لكل منصف خال من رواسب الطائفية أن التحول الكبير الذي حدث في إيران قبل ثلاثة عقود كان رساليًا بامتياز. لم يكن تغيير نظام بنظام فحسب، بل كان تغييرًا حضاريًا ضخمًا أعاد فيه إيران إلى دائرة الحضارة الإسلامية، ونقلها من قاعدة للمكر الاستكباري وللصهيونية والتآمر على العالم العربي والاسلامي، إلى قاعدة رسمية وشعبية مقرونة بعزم وإرادة هائلة للعودة إلى الدائرة العربية الإسلامية وتبني القضايا العربية

وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

تجلّى ذلك في الدستور وفي المواقف العملية وفي الشعارات وفي جميع ما ساد الثورة والدولة من ممارسات.

أصبحت إيران البعد الاستراتيجي للعالم العربي، كما أصبح العالم العربي في الشعور الإيراني ومواقفه الامتداد الاستراتيجي لإيران.

كان من الطبيعي أن ترى قوى الاستكبار العالمي والصهيونية في هذا التحول خطرًا كبيرًا عليها، فحاربوه بإثارة النزعات القومية داخل إيران، وحاربوه بالاختراق في أجهزة الحكم، وحاربوه بمؤامرة عسكرية، وحاربوه بشنّ هجوم عسكري جوي أمريكي، وحاربوه إعلاميًا، وحاربوه اقتصاديًا.. لكن حروبهم باءت بالفشل..

ثم تحوّلوا ليمارسوا ما يسمونه هم «اللعبة القذرة» وذلك بضرب أجزاء الأمة بعضها ببعض.

كان المرشّح لممارسة هذه اللعبة الانظمة الاقليمية المرعوبة من الثورة الإسلامية، وكان المهيّأ لقيادتها نظام صدّام.

إلى هنا تبدو القضية عملية تجييش عسكري للانقضاض على الولادة الجديدة في إيران. لكن هذا التجييش رافقه تجييش إعلامي لإثارة النعرات الطائفية والقومية في العالم الإسلامي ضد إيران.

أصبحت إيران العائدة إلى الدائرة العربية الإسلامية بلد «الفرس المجوس» والمقصود بالفرس إثارة الأحقاد القومية، والمقصود بالمجوس إثاة النعرات الطائفية.

جنّد نظام صدام الجامعات ومراكز الابحاث العراقية وأحيانًا غير العراقية لتكتب عن ماضي العلاقات الإيرانية العربية وكأنه يمرّ عبر صراع قومي دامٍ!!

وعن الشيعة وكأنهم امتدادٌ للديانة المجوسية!!

الكتب الدراسية العراقية اتجهت إلى تركيز هذه الأفكار في ذهن الطلبة، والإعلام سار في نفس هذا الاتجاه.

استمرت هذه الحالة خلال ثماني سنوات من الحرب الظالمة على دولة الإسلام، وخلالها جرت محاولات واسعة ومكثفة لإثارة العصبيات الطائفية والقومية بين إيران والعراق خاصة، وبين إيران والعالم العربي والإسلامي بشكل عام.

غير أن الصورة على الجانب الايراني كانت مختلفة تمامًا. ويعود الفضل في ذلك إلى القيادة المبدئية المتمثلة بالإمام الخميني(رض).

الحرب المفروضة صوّرت في إيران على أنها حرب أمريكية – صهيونية ضد الإسلام، ولم يرتفع إطلاقًا شعار طائفي أو قومي على لسان الايرانيين حتى المتطرفين منهم.

بالعكس، اتجهت العملية الثقافية في إيران إلى تركيز مفهوم

الانتماء الحضاري الايراني، ومكافحة مخلفات التعصب القومي الموروث من عصر الشاه، والتأكيد على وحدة الأمة الإسلامية ونبذ الطائفية، والتأكيد على القضية الفلسطينية ورفض جميع محاولات المساومة على هذه القضية.

بعد أن وضعت الحرب الظالمة أوزارها، انكشف للعالم الإسلامي ما كان خافيًا على كثيرين. انكشف الوجه الدموي المزوّر لنظام صدام، خاصة بعد غزو الكويت.

لكنّ مخلّفات الحملة الطائفية والعنصرية التي قادها صدّام في داخل العراق وخارجه لا يمكن أن تزول بسرعة، فهي تطلع برأسها بين حين وآخر، لتواصل المواجهة بين الطائفية والرسالية.

إن الشيعة فوبيا خطة أمريكية بريطانية صهيونية لتمزيق العالم الإسلامي وعزل فصائله المقاومة، كما أن الاسلاموفوبيا محاولة لإثارة مخاوف الغرب من الإسلام، وتعبئة الغربيين لمواجهة العالم الإسلامي.
سلاح المقاومة هزم كل سلاح بما في ذلك الترسانة الصهيونية، وسيهزم بإذن الله سلاح الطائفية، لتصبح قيم المقاومة واستعادة العزّة والكرامة فوق كل الاعتبارات في عالمنا الإسلامي.

العراق – الفتنة الطائفية

بمناسبة ذكرى سقوط الطاغية

• بدأت عمليات الاستفزاز الطائفي في العراق بالهجوم المسلح على مساجد أهل السنة والشيعة • الحكومة العراقية بعد سقوط صدام هي أول حكومة عراقية انبثقت من انتخابات عامة حرّة، وتضمّ وزراء سنة وشيعة، كما أن مجلس النواب يضمّ أعضاء من الطائفتين • خطّة غزو العراق كانت موضوعة منذ أمد بعيد ضمن خطة ما يسمى بالشرق الاوسط الكبير، حيث السيطرة فيها لأمريكا وإسرائيل • نحن نعتقد أن الصراع الطائفي في العراق لا يعدو أن يكون ظاهرة طارئة • كان السنة والشيعة يعيشون متعاونين متعاضدين وبينهما زواج وتعاشر وتوجد أسر وقبائل بعضها من أهل السنة وبعضها من الشيعة • العراقيون يجمعون على أن القتل الطائفي ترتكبه عناصر وافدة على العراق • القيادة الدينية في العراق وعلى رأسها المرجع الكبير آية الله السيستاني يشكل ضمانة هامّة لدرء الطائفية

حين سقط نظام صدّام استبشرنا بظاهرة تدفّق العراقيين في الشوارع ليعلنوا عن تضامنهم شيعة وسنّة لمواجهة الاحتلال. وكانت الظاهرة تنمّ عن وعيٍ ويقظة وحكمة ودراية.

غير أن هناك مَنْ كان قلقًا على المستقبل، إذ رأى أن هذه

الظاهرة لا يمكن أن تستمرّ ولابدّ أن تثار استفزازات للإيقاع بوحدة العراقيين.

دليله على ذلك هو أنّ هذه الوحدة سوف تنهي الاحتلال وسوف تبني العراق الحرّ المتمتع بالسيادة الوطنية والشعبية، كما أنها ستقدّم نموذجًا يُحرج المحتلين والأنظمة الدكتاتورية في المنطقة.

كما أنّ هذه الوحدة سوف تقطع الطريق على القتلة والمجرمين والسفاكين الذين عاثوا في العراق فسادًا في زمن نظام صدام من العودة إلى السلطة.

ولا يمكن للمحتلين ولا للنظم الدكتاتورية الاقليمية ولا للقتلة المجرمين أن يقفوا مكتوفي الايدي أمام هذه الظاهرة.

وكان القلق في محلّه، إذ تحركت كل تلك القوى لتحويل العراق إلى ساحة صراع طائفي.

الأسوأ في الأمر أن الخطّة شملت الإساءة إلى «المقاومة».. المقاومة.. هذه الكلمة المقدسة التي هي مظهر حياة.. زجّوها في عملية خلط الأوراق.. وجعلوا ما يسمى بالمقاومة وراء القتل الطائفي في العراق!! بل والأسوأ من هذا وذاك أنهم زجوا باسم الجمهورية الإسلامية الإيرانية في هذا القتل الطائفي، ضمن عملية إبعاد الأذهان عن العامل الحقيقي.

بدأت عمليات الاستفزاز بالهجوم المسلح على مساجد أهل السنة والشيعة. ولنا في إيران تجربة في ذلك ذكرناها صفحات

«ثقافة التقريب» ونعيد ذكرها هنا باختصار:

وُضعت حقيبة متفجرات قبل سنوات في مرقد الإمام علي بن موسى الرضا(ع) في مدينة مشهد، فانفجرت وقتلت ودمّرت. على أثر ذلك اتجهت أنظار جهاز الأمن الإيراني (اطلاعات) إلى مساجد أهل السنّة، فراقبوها بدقّة، وألفوا أن حزمة مشابهة من المتفجرات يضعها أحدهم في أحد مساجد أهل السنّة جنوب إيران، ألقوا القبض على المجرم ثم على من يتعاون معه، فوجدوا أنها نفس الجماعة التي فجّرت المرقد.

الهدف إذن ليس السنّة ولا الشيعة، الهدف الإثارة الطائفية، وتحويل الساحة إلى صراع سنّي شيعي. هذه العملية نفسها مورست في العراق، لكنها لم يتمّ احتواؤها بعقلية واعية، بل خضعت للفعل وردّ الفعل. وهكذا عمليات القتل على الهويّة.. استدرج إليها العراقيون استدراجًا.

من الإثارات الطائفية داخل العراق مسألة السلطة والحكم. الإثارة تتجه إلى تصوير الوضع الحالي في العراق بأنه سيطرة الشيعة وإقصاء السنّة، والواقع يشهد خلاف ذلك فالحكومة العراقية بعد سقوط صدام هي أول حكومة عراقية انبثقت من انتخابات عامة حرّة، وتضمّ وزراء سنة وشيعة، كما أن مجلس النواب يضمّ أعضاء من الطائفتين.

هناك من يعترض على المحاصصة الطائفية القائمة، لكنّ

هؤلاء نسوا أن السلطة كانت في العراق ضمن دائرة الاحتكار الطائفي.

ومن الإثارات الطائفية ما يقال إن الشيعة شجعوا أمريكا على غزو العراق!!

وهذا فهم سطحي جدًا لأهداف ومخططات قوى الهيمنة العالمية. خطّة غزو العراق كانت موضوعة منذ أمد بعيد ضمن خطة ما يسمى بالشرق الاوسط الكبير، حيث السيطرة فيها لأمريكا وإسرائيل.

كما أنها جاءت أيضًا ضمن خطة الاحتواء المزدوج، (العراق وإيران) التي فشلت بعد أن فشلت في تحقيق مآربها – حتى الآن على الأقل – في العراق.

نعم كان هناك في المعارضة العراقية من دخل في حوار دعت إليه أمريكا قبل غزوها. وكان في هذه المعارضة عناصر من السنّة والشيعة. لكن هذا الحوار لم يكن سبب الغزو، ولم يكن مقتصرًا على طائفة دون طائفة.

ومن الإثارات الطائفية إثارة الخلافات التاريخية والفكرية، وهي لا تقتصر على العراق بل هي من الإثارات الطائفية العامة، لكنّها تبلغ في العراق عند بعض الفئات درجة «التكفير» والاتهام بالنصب واطلاق أسماء استفزازية مثل الصفويين وأمثالها. وهذه الإثارات وراءها غالبًا ايضًا جهة واحدة تستفزّ أهل السنّة والشيعة

معًا عبر الاعلام المرئي والسموع والمقروء.

يبقى بعد كل هذا السؤال عن مستقبل الوضع في العراق من الناحية الطائفية.

بداية نحن نعتقد أن الصراع الطائفي في العراق لا يعدو أن يكون ظاهرة طارئة، فالعراقيون أساسًا لم يعرفوا هذه الحالة إلاّ بعد سقوط نظام صدّام. إذ كان السنة والشيعة يعيشون متعاونين متعاضدين وبينهما زواج وتعاشر، وتوجد أسر وقبائل بعضها من أهل السنة وبعضها من الشيعة، ولم يكن ثمة صراع. ورغم أن نظام صدام حاول تأليب السنّة ضد الشيعة خاصة بعد انتصار الإسلام في إيران وبعد الانتفاضة الشعبانية، ولكنه لم ينجح في خلق صراع طائفي.

العراقيون يجمعون على أن القتل الطائفي ترتكبه عناصر وافدة على العراق. وهناك كثير من الأدلة تدل على أن هذه العناصر أدخلها صدام إلى العراق قبل سقوطه لتمارس عملية العراق المحروق الذي وعد به صدام قبل سقوطه. كما استمرّ إدخال هذه العناصر على يد قوى دولية وإقليمية. من هنا فإن مكافحة هؤلاء الإرهابيين سوف يزيل الاحتقان الطائفي إلى حدّ كبير.. ولكن تبقى الجراح التي تركتها هذه الفترة الدامية، وهذه الجراح تفرض على العراقيين أن يتجاوزوها ويتعالوا عليها من أجل الهدف الكبير، وهو عزّة العراق الجديد.

ثم إن القيادة الدينية في العراق وعلى رأسها المرجع الكبير آية الله السيستاني يشكل ضمانة هامّة لدرء الطائفية. فهو يتحلّى بوعي كبير وهمّ تقريبي هائل.. سارع إلى دعوة الشيعة إلى عدم إبداء أيّ ردّ فعل بعد تفجير مرقد الإمامين في سامراء.. ويصدر الفتوى بعد الفتوى تدعو إلى وحدة الصدف ووأد الفتنة.

كما يلتقي باستمرار علماء السنة والشيعة يوجه ويحذّر ويفيض عليهم بثقافة التقريب.

بعد هذا وذاك تشكل التجربة المرّة التي مرّت على العراق خير رصيد للعراقيين كي ينطلقوا منها للدعوة إلى وحدة الأمة لا في العراق فحسب، بل في كل العالم الإسلامي.

الصراع الطائفي في العراق لا يعدو أن يكون ظاهرة طارئة، فالعراقيون أساسًا لم يعرفوا هذه الحالة إلاّ بعد سقوط نظام صدّام. إذ كان السنة والشيعة يعيشون متعاونين متعاضدين وبينهما زواج وتعاشر، وتوجد أسر وقبائل بعضها من أهل السنة وبعضها من الشيعة، ولم يكن ثمة صراع ورغم أن نظام صدام حاول تأليب السنّة ضد الشيعة خاصة بعد انتصار الإسلام في إيران وبعد الانتفاضة الشعبانية، ولكنه لم ينجح في خلق صراع طائفي.

سلاح الطائفية
في وجه المقاومة

• الجسم حيٌّ بمقاومته، والأمة حيّة بمقاومتها، وهدف الطائفيين هو القضاء على ما في هذا الجسد من حياة
• المقاومة توجه هموم الأمة نحو الأهداف الرسالية الكبيرة مترفعةً عن أي خلاف مذهبي • موقف حزب الله من حماس ومن غزّة ومن القضية الفلسطينية يؤكد تعاليه على الطائفية
•إن الشيعة فوبيا خطة أمريكية بريطانية صهيونية لتمزيق العالم الإسلامي وعزل فصائله المقاومة.

يبدو أن جميع الأسلحة التي وجهت إلى المقاومة لم تُجد نفعًا، ولذلك عمدوا إلى أقذر أسلوب في المحاربة وهو إشهار سلاح الطائفية. محاربة المقاومة طبعًا لا تعني محاربة فئة أو جماعة أو حزب، بل تعني محاولة القضاء على «حياة» الأمة. فالجسم حيٌّ بمقاومته، والأمة حيّة بمقاومتها، والهدف هو القضاء على ما في هذا الجسد من حياة، لكي تستطيع قوى الهيمنة الاستكبارية والعنصرية من الفتك تمامًا بالجسد الإسلامي وتفتيته.

سلاح الطائفية رُفع في وجه حزب الله اللبناني بقوّة، وراحت قوى إقليمية تدعم فئات خاصة من سنّة لبنان بالسلاح، لخلق

اصطفاف دامٍ مع حزب الله، لكنّ القيادة الدينية الواعية لعلماء السنّة والشريحة الواسعة من سنّة لبنان المخلصين تصدّوا لهذه المؤامرة وأحبطوها.

وهاهي المؤامرة تخرج من إطار لبنان لتطلع بقرنها في نقاط أخرى. قيل إن حزب الله أرسل لبنانيًا إلى البلد الفلاني لينشر التشيّع.. وقبل إنه جنّد عدة أشخاص في بلد آخر ليثير بلبلة طائفية هناك.. وقيل غير ذلك في بلد آخر، الغريب أن إعلام هؤلاء لا يذكر حزب الله إلاّ ويضمّ إليه كلمة «الشيعي».. ولقد كتب أحد المفكرين مقالاً في هذه التسمية وقال: لا أدري هل إنكم تريدون بقولكم: «حزب الله الشيعي» أن تسيئوا إلى الحزب أم إلى التشيع؟! وأضاف أنا في اعتقادي أنكم تثنون على الاثنين معًا، خاصة وأن كل خبر عن حزب الله يتضمن صمودًا ومقاومة وعزّة وكرامة!! غير أن الذي لم يذكره الكاتب هو الروح الطائفية هي التي تدفع هؤلاء لهذه التسمية ظنًا منهم أنهم يفصلونهم بذلك عن أهل السنّة.

والواقع أن حزب الله ينأى عن الطائفية بل ويتوقّاها ويدينها باستمرار، حتى أنه في فضائيته «المنار» لا يبثّ الأذان بسبب فرق بسيط بين المذهبين في هذه السنّة، كي لا يظهر حتى في هذه السنّة منتميًا لمذهب معين.

إنه يوجّه هموم الأمة نحو الأهداف الرسالية الكبيرة مترفعًا عن أي خلاف مذهبي، ولا تجد في أدبياته الواسعة أي أثر

للطائفية، ولم يعمد إلى نشر التشيّع حتى بين أهل السنّة في لبنان فما بالك بخارج لبنان!!

موقفه من حماس ومن غزّة ومن القضية الفلسطينية يؤكد تعاليه على الطائفية، وصداقته الحميمة مع علماء السنّة في سائر أرجاء العالم، وخطابه الداعي إلى الوحدة والتضامن بين المسلمين يؤكد تعاليه على الطائفية.

ومن الغريب أن هناك من يلمز حماس بالطائفية لأنها – كما يقول – ارتبطت بإيران «الشيعية»! وحزب الله «الشيعي»!

وقبل هذا وذاك سمعنا من يتحدث عن الهلال الشيعي، لإثارة المخاوف من قوى المقاومة في المنطقة.

إن الشيعة فوبيا خطة أمريكية بريطانية صهيونية لتمزيق العالم الإسلامي وعزل فصائله المقاومة، كما أن الاسلاموفوبيا محاولة لإثارة مخاوف الغرب من الإسلام، وتعبئة الغربيين لمواجهة العالم الإسلامي.

سلاح المقاومة هزم كل سلاح بما في ذلك الترسانة الصهيونية، وسيهزم بإذن الله سلاح الطائفية، لتصبح قيم المقاومة واستعادة العزّة والكرامة فوق كل الاعتبارات في عالمنا الإسلامي.

الأمل بتوحد المسلمين
لا في كلام أوباما

• الحقّ أن وحدة المسلمين المهدّدة بأخطار جسيمة وعلى رأسها الفتنة الطائفية هي الأمل الوحيد لعودة هذه الأمة إلى عزّتها وكرامتها • لا شكّ أن انتخاب باراك حسين أوباما ذي الأصول الإسلامية الأفريقية كان مبعث سرور وانشراح كل الذين ذاقوا مرارة عهد بوش واكتووا بنار الإدارة الأمريكية السابقة • إن القضية الفلسطينية تأتي على رأس قضايا العلاقة بين أمريكا والعالم الإسلامي • أمتنا اليوم تحقق انتصارات عظيمة في جانب تتمثل في المقاومة والتصدّي العسكري والتطوير العلمي والصحوة والعمل على استعادة الهويّة وعلى تقارب المتباعدين • الأمل إذن بتعالينا على الخلافات الطائفية والقومية، وبتعالينا على نوازعنا الذاتية والأنانية، لا بكلام أو تصريح غير مقرون بانجاز عملي.

«الأمل بتوحد المسلمين لا في كلام أوباما» هذا العنوان حملته تعليقات كثير من المواقع الإسلامية تجاه ما صرّح به أوباما في تركيا.

والحقّ أن وحدة المسلمين المهدّدة بأخطار جسيمة وعلى رأسها الفتنة الطائفية هي الأمل الوحيد لعودة هذه الأمة إلى عزّتها وكرامتها.

وهذا هو الهدف الذي تسعى إليه الجمهورية الإسلامية الإيرانية وتنادي به منذ ثلاثة عقود كما نادى به المخلصون في القرن الأخير. وهذا هو هدف «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية» وسائر المؤسسات الداعية إلى وحدة المسلمين.

لا شكّ أن انتخاب باراك حسين أوباما ذي الأصول الإسلامية الأفريقية كان مبعث سرور وانشراح كل الذين ذاقوا مرارة عهد بوش واكتووا بنار الإدارة الأمريكية السابقة، وخاصة العالم الإسلامي. وأوباما انطلاقًا من هذا الارتياح الذي طغى على العالم الإسلامي جاء ليستثمر الحالة السائدة، وليقول للمسلمين أنه لا عداوة بين أمريكا والإسلام.

ومن قبل توجّه أوباما إلى إيران حكومة وشعبًا يهنئ بالنوروز ويطلب فتح صفحة جديدة من العلاقات.. لكن الجواب جاء إليه من القيادة الإيرانية واضحًا صريحًا: «نحن نريد مواقف عملية تدلّ على صدق النوايا».

ونداؤه إلى العالم الإسلامي واجه نفس الإجابة. العلماء والمفكرون المسلمون إذ استبشروا بهذه المواقف الجديدة، طالبوا بمواقف عملية.

إن القضية الفلسطينية تأتي على رأس قضايا العلاقة بين أمريكا والعالم الإسلامي.

ثمة احتلال، واغتصاب، وتشريد، وقتل وهدم، وثمة ممارسات عنصرية قلّ أن نجد لها نظيرًا في التاريخ، وثمة تمادي في الاستهانة بالمقدسات والمقررات والحقوق والقوانين. كل هذا يجري وسط تأييد أمريكي ودعم متواصل، بل وتشجيع على المضي في هذا

التفرعن والظلم.

كيف سيعالج أوباما هذه القضية؟ لا يمكن أن نطالبه بحلها بين ليلة وضحاها. ولكن من الممكن اتخاذ خطوات أولية على هذا الطريق مثل إيقاف الاستيطان وعودة اللاجئين واستعادة القدس الشريف.

دعنا عن كل هذا ولنتحدث عن العنوان. على أي شيء يجب أن نعقد أمالنا؟

كما حملت مواقع شبكة الاتصالات، الأمل يجب أن نعقده على توحّدنا.

التشرذم والنزاع يذهب ريحنا، ويقلل احترام العالم لنا. التاريخ يحدثنا أن المسلمين متى ما حققوا نصرًا عسكريًا أو سياسيًا أو اجتماعيًا أو اقتصاديًا احترمهم العالم، ومتى ما تراجعوا وتخاذلوا وتفرقوا نظر إليهم العالم نظرة ازدراء واحتقار.

أمتنا اليوم تحقق انتصارات عظيمة في جانب تتمثل في المقاومة والتصدّي العسكري والتطوير العلمي والصحوة والعمل على استعادة الهويّة وعلى تقارب المتباعدين. لكنها تعيش من جانب آخر وضعًا مؤلمًا تسوده الفرقة الطائفية والقومية والتقاتل والاختلاف والتناحر، هذا إضافة إلى الفقر والمرض والأمية وسائر مظاهر التخلف الاجتماعي.

صحيح أن هناك اليوم من المسلمين من يعمل بجدّ للنهوض بالعالم الإسلامي من كبوته، ولكن لا يزال هناك من يعيش في عصر اختلاف الاشاعرة والمعتزلة، والخلاف حول الخلافة، لا يزال هناك من يتمترس وراء مذهبيته ليحولها إلى دكان لارتزاقه

ولتكريس ذاتيته وأنانيته.

لا يزال هناك من يبيع الوطن والضمير ومصالح الشعب من أجل البقاء في منصبه.

ولا يزال هناك من ينفق المليارات من أموال المسلمين من أجل ملذاته الرخيصة وأهوائه التافهة، بينما توجد شعوب مسلمة تفتقر إلى لقمة العيش.

هذه المظاهر تقلل من فرص احترام العالم للمسلمين. لابدّ أن نعقد الأمل على توحّدنا، وتعاضدنا، سياسيًا واقتصاديًا وعلميًا وإعلاميًا. وهذا التوحّد مهدّد اليوم أولاً بالعصبيات الطائفية.

وإذا رأينا أن هذه العصبيات تثار باستمرار هذه الأيام فهو في اعتقادنا يعود إلى ما حققه العالم الإسلامي من مكتسبات تدعو إلى الاحترام.

ما حققته المقاومة في لبنان وفلسطين أكسب العالم الإسلامي احترامًا شعبيًا على الصعيد العالمي. وما تحقق من انتصارات علميّة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية على صعيد علوم الذرّة وغزو الفضاء وتكنولوجيا النانو هو أيضًا يشكل رصيد احترام دولي للعالم الإسلامي.

لذلك كلّه اندفعت قوى الاستفزاز لتثير الحساسيات والبغضاء بين المسلمين تحت لواء الطائفية.

الأمل إذن بتعالينا على الخلافات الطائفية والقومية، وبتعالينا على نوازعنا الذاتية والأنانية، لا بكلام أو تصريح غير مقرون بانجاز عملي.

فتوى الشيخ محمد شلتوت

لتذكير الشيخ القرضاوي

نشر موقع اسلام اون لاين حديثًا لفضيلة الشيخ القرضاوي أنكر فيه صدور فتوى جواز التعبد بالمذهب الجعفري المعروف بمذهب الشيعة الإمامية. واستشهد على ذلك بواحد من صحبه.

ويأتي حديث الشيخ في وقت تثار فيه ضجة طائفية واسعة في العالم الإسلامي ذات أهداف معروفة بدأت منذ ثلاثة عقود، أي بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وتصاعدت بعد الانتصارات التي حققها حزب الله في لبنان.

وحديث الشيخ سامحه الله لا يخدم المصلحة الإسلامية، ولا يخدم الأهداف التي عاش من أجلها، ونعوذ بالله من الخذلان. وللتذكير ننقل نصّ الفتوى مرّة أخرى، مع رسالة بعث بها السيد أبو الوفا التفتازاني في وقتها يستفسر فيها عن بعض مواد الفتوى، وأجاب عليها الشيخ شلتوت (رضوان الله عليه). كل ذلك مثبّت في مجلة «رسالة الإسلام» القاهرية. فليراجع:

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الفتوى

التي أصدرها السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الامامية

قيل لفضيلته:

«إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الامامية ولا الشيعة الزيدية، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مثلا.

فأجاب فضيلته:

١ – إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين بل نقول: إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحًا والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ولمن قلد مذهبًا من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره – أي مذهب كان – ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢ – إن مذهب الجعفرية المعروفة بمذهب الشيعة الامامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعًا كسائر مذاهب أهل السنة.

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات.

محمود شلتوت

السيد صاحب السماحة العلامة الجليل الأستاذ محمد تقي القمي

السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية

سلام الله عليكم ورحمته

أما بعد

فيسرني أن أبعث إلى سماحتكم بصورة موقع عليها بإمضائي من الفتوى التي أصدرتها في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الامامية، راجيا أن تحفظوها في سجلات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي أسهمنا معكم في تأسيسها ووفقنا الله لتحقيق رسالتها.

السلام عليكم ورحمة الله

شيخ الجامع الأزهر

محمود شلتوت

تساؤلات بشأن فتوى الشيخ شلتوت

بعث السيد أبو الوفا رسالة يستفسر فيها عن بعض مواد فتوى الشيخ شلتوت، ثم طرح في الرسالة سؤالا آخر لا يرتبط بالفتوى ولم يجب عليه الشيخ، ونحن نذكر ما يرتبط بالفتوى من أسئلة وجواب الشيخ عنها.

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر مولانا الشيخ محمود

شلتوت شيخ الجامع الأزهر الشريف أطال الله بقاءه.

بعد إهداء السلام وأداء واجبات الاحترام أعرض لفضيلتكم بأن استملت صورة فتوى صدرت بتوقيعكم في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، ذيل رسالة نشرها الأستاذ الشيخ محمد تقي القمي السكرتير العام لدار التقريب.

ففي أصل مسألة التقريب وعقيدتي بلزومها يناسب أن أتمثل بقول ابن الفارض(رحمه الله).

شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقالوا شربت الإثم كلا وإنما

شربت التي تركي لها عندي الإثم

فإني تلقيت هذه الفكرة منذ نعومة أظفاري من الأسرة الشافعية التي نشأت فيها، وتربيت بتربيتها الإصلاحية، وبناء على تلك التربية صاهرت مع أسرة إمامية قائلة بلزوم رفع الاختلاف بين الفرق الإسلامية، ورزقنا الله من هذه المصاهرة عدة أولاد كلهم على سيرة الأبوين، نسير ونسعى في تلك الطريقة المثلى، والآن نؤمن ونعتقد كلنا بأن فكرة التقريب هي الطريقة الوحيدة لإيجاد الوحدة والوئام بين هذه الفرق المتبددة، لكنني واجهت في نصوص الفتوى، وما يحوم حولها نوع غموض ألجأني أن أسأل وأستقصي من سماحة أستاذنا الأكبر تبيين مواده، راجيًا أن لا

تحمل تلك الأسئلة على بعض تعريضات ذكرت في تعليقات بالطبعة الأخيرة من كتاب «العواصم من القواصم» في حق بعض المنتمين إلى الأزهر المختلفين إلى دار التقريب، بل أرجو أن تلقى كسؤال عامي مقلد من المفتي عن معنى ما أفتى به، وعن مسائل أخرى تحوم حول الفتوى استرشادا، وهاهي مواد الغموض إن تفضلتم بتبيينها فقد رفعتم الحرج عني ولكم الأجر.

١ – ما المقصود من عبارة: «أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحًا والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة» في المادة الأولى من الفتيا؟ هل من المذاهب المدونة في الكتب المروية عن الأئمة الأربعة المعروفة أم أعم منها؟ وفي الصورة الأخيرة ما المدار في صحة النقل وصلاحية رواة سائر المذاهب عندنا؟

٢ – هل المنظور من جملة «كسائر مذاهب السنة» في المادة الثانية من الفتوى أن تعد الطريقة الاثنى عشرية من طرق التسنن بناء على أن لفظ السائر مأخوذ من السؤر بمعنى الباقي واستعماله في معنى الجميع غير صحيح كما ذكره ابن الأثير وسائر أئمة اللغة؟ وهل إفتاء جواز التعبد بمذهب الإمامية يشمل مقلدي سائر المذاهب أم مخصوص بأتباع هذا المذهب أنفسهم، كما يستنبط من تفكيك تلك المادة من الأولى؟

وفي ختم المقال أكرر السلام، وأجدد الاحترام مترصدا صدور الجواب؟

جواب الشيخ شلتوت

أخي في الله السيد المحترم أبو الوفا المعتمدي الكريستاني

سلام الله عليكم ورحمته، وعلى جميع إخواننا في الله، وعلى كل من جاهد في سبيل الله بعلمه أو قلمه أو صالح سعيه.

أما بعد: فقد تلقيت كتاب السيد الأخ، واغتبطت أيما اغتباط بما تضمنه من روح المودة والثقة، والرغبة في معرفة الحق واتباعه، كما اغتبطت بما أبداه من معاضدة لفكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وأنها فكرة خالط الإيمان بها قلبه منذ نشأته، وسار على مقتضاها في مختلف ظروف حياته، إن هذا ليدل على سعة أفقك أيها الأخ الكريم ونور بصيرتك، فما كان الله ليأمر بالألفة ثم يرضى عن الفرقة، وما كان الله ليقرر في كتابه العزيز تلك الحقيقة الثابتة، حيث يقول: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ ثم يرضى عن أولئك الذين يريدون أن يقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، ويسعون بالفساد في الأرض، ويثيرون الشكوك والأوهام حول العاملين المخلصين في دائرة كتاب الله وسنة رسوله والسلف الصالح من المؤمنين.

ولقد رغبتم إلي في الإجابة عن بعض أسئلة بمناسبة الفتوى التي أصدرتها بجواز التعبد بمذهب الإمامية، وها أنا ذا أحقق رغبتكم فأجيبكم – مستعينًا بالله – عما سألتم:

السؤال الأول: ما المقصود من عبارة: «أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحا والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة» في

المادة الأولى من الفتيا؟ هل هي المذاهب المدونة في الكتب المروية عن الأئمة الأربعة المعروفة، أم أعم منها؟ وفي الصورة الأخيرة: ما المدار في صحة النقل وصلاحية رواة سائر المذاهب عندنا؟

الجواب: (١) المراد من المذاهب المنقولة نقلا صحيحًا والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة كل مذهب ينطبق عليه ذلك، وسياق الفتوى واضح في ذلك، حيث قلنا ردا على من ظن وجوب تقليد أحد المذاهب الأربعة المعروفة: «إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحًا والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة، ولمن قلد مذهبًا من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره – أي مذهب كان – ولا حرج عليه في شيء من ذلك» فلم نرد، ولا العبارة تفيد اقتصار هذا الحكم على المروي عن الأئمة الأربعة المعروفين.

(٢) وإنما قلنا: «المدونة أحكامها في كتبها الخاصة» لأننا كثيرًا ما رأينا بعض الكتب المذهبية تنقل عن مذاهب المخالفين نقولا غير صحيحة، أو غير محررة بدقة، وذلك يرجع أحيانا إلى عدم معرفة الناقل بحقيقة المذهب وما عليه المعول فيه، وأحيانا إلى الرغبة في تشويه المذهب سياقًا مع العصبية، لذلك كان الاحتياط واجبًا عند إرادة معرفة مذهب ما، ولا شك أن كتبه الخاصة هي التي تحقق هذه الغاية.

(٣) والمدار في صحة النقل والثقة بالمدون في أي مذهب، هو بالنسبة للأقدمين ما جروا عليه من تحقيق النسبة والفحص عن

الراوي وأسلوب التلقي، ونحو ذلك، أما بالنسبة إلينا – معاشر المحدثين من العلماء – فهو زيادة على ذلك تصفّح الكتب المختلفة المؤلفة في عصور متفاوتة على نحو يوجب الجزم بعدم وقوع تصحيف أو تحريف أو كذب فيما تنقله هذه الكتب، ولنضرب لذلك مثلا من كتب السنة التي بين أيدينا الصحاح وغيرها، فنحن نقرأ المطبوع أو المنسوخ منها، وقد نجد في بعضه تحريفاً أو سقطاً أو زيادة، وسرعان ما يدرك أهل العلم والبحث ذلك بمراجعة النسخ وتحقيق النصوص، ثم يأتي بعد ذلك دور التمحيص وتحقيق الرواية. وفي كل مذهب كتب مخطوطة ومطبوعة تأخذ مثل هذه السبيل في تحقيق طبعاتها ونسخها ونصوصها، ثم في تحقيق رواياتها وشأن رواتها.

من هذا كله توجد الثقة بالمذهب المنقول، وتصرف الحقيقة فيه.

السؤال الثاني: هل المنظور من جملة: «كسائر مذاهب السنة» في المادة الثانية من الفتوى أن تعد الطريقة الاثنى عشرية من طرق التسنن بناء على أن لفظ السائر مأخوذ من السؤر بمعنى الباقي واستعماله في معنى الجميع غير صحيح كما ذكره ابن الأثير، وسائر أئمة اللغة؟ وهل إفتاء جواز التعبد بمذهب الإمامية يشمل مقلدي سائر المذاهب أم مخصوص بأتباع هذا المذهب أنفسهم، كما يستنبط من تفكيك تلك المادة من المادة الأولى؟

الجواب: (١) أن كلمة «سائر» تستعمل في كلام العلماء تارة

بمعنى «جميع» وتارة بمعنى «باقي» وقد يكتسب اللفظ اللغوي معنى أوسع من معناه على نوع من التسامح في كتب الاصطلاح، والعبرة بالقرينة الموضحة للمراد. والكلام في الفتوى واضح في أن المراد التسوية بين مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية وجميع مذاهب أهل السنة المنقولة نقلا صحيحًا.

(٢) على أن تقسيم المذاهب إلى «شيعة» و«سنة» إنما هو اصطلاح في التسمية، وإلا فكل المسلمين أهل السنة لأنهم جميعًا يوجبون الأخذ بالسنة، والشيعة كذلك من غير شك، إذ أن الشيعي لا يقول: قد يثبت حديث ما عن رسول الله(ص) وأرفض العمل به من حيث هو حديث ثابت عن رسول الله، ولكنه يقول كما يقول جميع المسلمين: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإنما يقع الخلاف أحيانا في ثبوت الحديث عند فريق وعدم ثبوته عند فريق آخر، وتوضيحًا لذلك نذكر ما ذكره أخونا العلامة المرحوم الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء الشيعي الإمامي العراقي في بعض ما كتب: إن عندنا قضية صغرى، وقضية كبرى، تؤلفان قياسًا واحدًا شكله هكذا: «هذا ثبت عن رسول الله، وكل ما ثبت عن رسول الله يجب العمل به شرعًا، فالخلاف بين المسلمين ليس في الكبرى، بل كلهم مجمعون عليها إجماعًا لا يتطرق إليه شك، وإنما هو في الصغرى».

٣ – وواضح من الفتوى أيضا أن جواز التعبد بمذهب الإمامية يشمل مقلدي سائر المذاهب أن ينتقل إلى غيره – أي مذهب كان

– ولا حرج عليه في شيء من ذلك» وقلنا في خاتمة الفتوى: «فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، ويجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليدهم، والعمل بما يقررونه في فقههم».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

محمود شلتوت

على أن تقسيم المذاهب إلى «شيعة» و«سنة» إنما هو اصطلاح في التسمية، وإلا فكل المسلمين أهل السنة لأنهم جميعًا يوجبون الأخذ بالسنة، والشيعة كذلك من غير شك، إذ أن الشيعي لا يقول: قد يثبت حديث ما عن رسول الله(ص) وأرفض العمل به من حيث هو حديث ثابت عن رسول الله، ولكنه يقول كما يقول جميع المسلمين: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإنما يقع الخلاف أحيانا في ثبوت الحديث عند فريق وعدم ثبوته عند فريق آخر.

الشيخ محمود شلتوت

تقرير عن
المؤتمر الدولي الثاني والعشرين للوحدة الاسلامية
تحت عنوان
«الأمة الإسلامية والخطط الإستراتيجية لمواجهة تحديات وحدتها»
القسم الأول

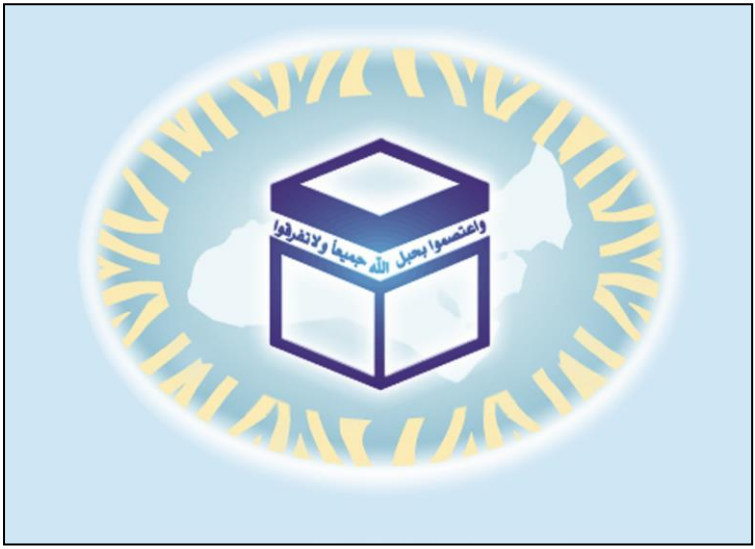

دعا المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية إلى مؤتمره السنوي في أيام أسبوع الوحدة بطهران، وانعقد هذا العام تحت العنوان المذكور أعلاه، بحضور أعضاء الجمعية العامة للمجمع من جميع أرجاء العالم، واستغرقت الجلسات ثلاثة أيام من ١٥ - ١٧ ربيع الأول ١٤٣٠ الموافق ١٣ -١٥ آذار مارس ٢٠٠٩ في إطار المحاور التالية:

أولاً – أهم التحديات التي تواجهها الوحدة

أ- من قبل أعدائها من قبيل:

-التخطيط لتمزيقها جغرافيًا، ولغويًا وقوميًا ومذهبيًا وتاريخيًا.

- التخطيط لإبقائها متخلفة على الصعيد العلمي، والاقتصادي والقدرات العسكرية وأمثال ذلك.

- التخطيط لإبعادها عن إسلامها عبر الترويج للعلمانية والتشكيك في قدرة الإسلام على مواجهة المشاكل الحياتية وإشاعة السلوكيات المادية والمنحرفة عن الشريعة وزرع حالة التقليد للغرب والإعجاب والانبهار به.

- إضعاف التربية والتعليم الإسلاميين، والتشكيك في قدرتهما على النهوض بالأمة.

- إضعاف الإعلام وزرع العملاء الفكريين لئلا يقوم بدوره المطلوب.

- إشاعة روح الهزيمة ونفسية الاذلال

ب – في تركيبتها الداخلية من قبيل:

- الابتلاء بحالات التطرف.

- الابتلاء باتجاهات الجمود والتخلف الفكري والجهل والتعصب.

- الابتلاء بتأكيد بعض الساسة والشخصيات على مصالحها الضيقة مما يشجع على التمزق.

- الابتلاء بشيوع بعض أنماط السلوك الاستفزازي.

- الابتلاء بالاتجاهات التكفيرية.

- الابتلاء بالاتجاهات العلمانية المتغربة.

ـ شيوع سوء الفهم عن الآخرين وتكون تصورات خاطئة في ذهن البعض عن الآخر.

ثانيًا: الخطط الإستراتيجية المطلوبة لمواجهة التحديات من قبيل:

أـ خطة تعمل على رفع مستوى الوعي الجماهيري في مختلف المجالات (فهم الإسلام وتعاليمه وأهدافه، فهم الواقع القائم على مختلف الأصعدة، فهم الموقف منه).

ب – خطه للتشجيع على تعميم تطبيق الشريعة الإسلامية في كل المجالات الحياتية.

حـ ـ خطة لتنفيذ عملية تعليمية وتربوية شاملة لمختلف قطاعات الأمة وفق تعاليم الإسلام.

د - خطة ذات مراحل للوصول إلى توحيد موقف الأمة عمليًا من مختلف القضايا وتحقيق التكافل والتضامن في مختلف المجالات.

هـ ـ خطة لتقوية المؤسسات الشمولية كمنظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات غير الرسمية الدعوية والخيرية والتعليمية والإعلامية.

و – خطة للاستفادة الأنجع من الإمكانات السياسية

والاقتصادية والجغرافية، والطاقات العلمية والجماهيرية تعبئتها لتحقيق الأهداف الكبرى ومقاومة التحديات.

ز - خطة للرقي بوضع الأقليات الإسلامية في أنحاء العالم.

ح – خطة لتطبيق اللائحة الإسلامية لحقوق الإنسان.

ط – خطة لتأكيد دور الشعوب الإسلامية لصنع مستقبلها والمشاركة الفعالة في العملية السياسية الداخلية والحضارية العالمية.

ي - خطة لتربية الجيل الاسلامي على ثقافة القوة والمقاومة والعزة.

ونذكر أدناه مقتطفات من الأوراق المقدمة:

الابتلاء باتجاهات الجمود والتخلف الفكري والجهل والتعصّب

مصطفى أحمد سيسي

الأمين العام لاتحاد الجمعيات الإسلامية

تحدث الباحث في ورقته عن: آثار التخلف في تفرق المسلمين :

قال فيه:لم يعد هناك خلاف بين جماعات الأمة أنّنا نعيش أسوأ عصورنا التاريخية تخلّفا، وقد غلبت آثار هذا التخلف جميع مجالات حياتنا ... الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية... ولا يسعنا الوقت أن أتناول بيان مظاهر التخلف في جميع

هذه المجالات، ولكن التخلف الفكري أصبح غالبًا على عقلية الجماعات الإسلامية.

والذي يزيد الطين بلّة أن أنواع هذا التخلف الفكري تتباين من جماعة لأخرى ... بمعنى أن تخلف الفكر الصوفي ينقص في البعض ويغلب على البعض الآخر، والتخلف الفلسفي أرسخ في بعضها من بعض، والفكر الاقتصادي تفتقر إليها كثير من الجماعات الإسلامية...هكذا دواليك...، بل يتباين أتباع بعض الجماعات في أنواع هذا التخلف، وفي الحين كلّ يدّعى أنها تنتمي إلى الفكر الإسلامي، الذي افترقت عليه الأمة بين قادة الفكر التقليدي والتجديدي، وبين قادة النقل وقادة العقل، وبين قادة العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية...الخ.

من هنا تأتي الحيرة التي أخذت قلوبنا... والتي تعمينا عن رؤية منهج صحيح للعلاج، إذ لا نعرف من أين نبدأ ؟

غير أن هذه الحيرة التي أصابت الأمة...لم توقظ همم القادة والمفكّرين ليحرصوا على وحدة الصفوف، بل وسّعت هوّة الخلاف والتنافر بينهم، والشعوب ضحايا هذا الخلاف الفكري والجدل الديني بين علماء الأمة، الذين ما زال بعضهم يوسّعون هوّة الفرقة بين أبناء الأمة كلّما جاءت فتاواهم في إبراز مواقف مذهبية، تدلّ على تخلّف فكري أكثر مما تدل على وعي سليم يستهدف تقارب وجهات المذاهب الفكرية بين قادة الأمة.

* * *

الابتلاء باتجاهات الجمود
والتخلف الفكري والجهل والتعصّب

محمد علي آذرشب

استاذ جامعي - إيران

تحدث عن مظاهر المجتمعات المتحركة حضاريًا، وذكرها على النحو التالي:

١ -المجتمعات الحيّة تفكّر بحاضرها ومستقبلها دائمًا، ولا تنظر إلى الأمر بأنه ليس بالامكان أحسن مما كان، بل ترى أن الحركة التكاملية نحو الله لانهاية لها، وهذه الحركة ليست جغرافية مكانية، بل هي حركة في جوهر الإنسان نحو كل صفات الله من عزّة وكرامة وقوة وعلم وجمال ورحمة، وترفض السكون وتتحرك باستمرار أفقيًا لاكتشاف المجاهيل على ظهر الأرض، وتتحرك عموديًا لتتعمق في ماوراء الظواهر الطبيعية والفكرية.

٢ - الإصلاح في مثل هذه المجتمعات يتجه نحو إزالة الموانع عن طريق حركة المجتمع سواء اتخذت هذه الموانع صفة السلطة السياسية أو السلطة الدينية، وبذلك ينفتح الطريق أمام استمرار مسيرة البشرية نحو تحقيق أهدافها المنشودة. وأهمّ قاسم مشترك بين الإصلاحيين الحقيقيين هو إعادة روح «العزّة» التي فقدها الافراد في ظروف معينة إلى المجتمع، ممهّدين بذلك لاستمرار المسيرة الحضارية .

٣ - في المجتمعات الحيّة يسود الترابط العضوي بين الاعضاء

وهـذه ظـاهرة كانـت علـى أشـدّها في أيـام ازدهـار مجموعتنـا الحضارية الإسـلامية، فالخراسـانيون يهبّون لنصـرة الحلبيين حين يـداهمهم خطـر، والمغاربـة ينهضـون لنصـرة الاندلسـيين، والعلمـاء الخراسانيون مرتبطون بمختلف تخصصاتهم بعلماء بغداد والشام والمغرب والاندلس. والشـاعر ينشـد قصـائده في القـاهرة فتصـل في نفس الأيام إلى بـلاد فـارس، فتتداولها الألسنة، وتكتب الشروح والنقود. ومع عدم وجود حتى الحد الأدنى من وسائل الارتباط القائمة اليوم. كان العالم الإسلامي يشكل بمجموعته الحضارية مـن أقصـاه إلى أقصـاه قريـة كونيـة مترابطـة فكريًـا وعلميًـا وعاطفيًـا وإنسـانيًا. وهـذا لا يعـني انعـدام التعـدديات المذهبيـة والفكرية والعلمية، لكنها كانت تعدديات متعاونة ومتعاضدة، يعترف كل منها بفضل الآخر، ويتتلمذ كل منها على الآخر، وتجلس جميعها في مجالس حوار علمي هادئ بنّاء رغم مابينها من اختلاف.

٤ - أمـا الموقـف مـن الآخـر، فيقـوم علـى قاعـدة: ﴿الـذين يستمعون القـول فيتبعـون أحسـنه﴾. الموقـف هنـا فاعـل لا منفعـل، يأخـذ مـن الوافـد مـايراه صـحيحًا فيهضـمه في وجـوده ويتمثّـله في منظومتـه فيـزداد قـوة، دون أن يـؤثر ذلـك علـى هويتـه وشخصـيته المسـتقلة. لقـد انفـتح العـالم الإسـلامي في نهضـته علـى اليونـان والفـرس والهنـود فأخـذ مـن خـزائنهم مـازاده قـوة علـى قوتـه، وأخـذ الاوربيون في نهضتهم من المسلمين مايعترف به كل الباحثين.

* * *

البدعة والتبديع ..
رؤية حول المفهوم والتوظيف الأيديولوجي

أحمد حسين أحمد محمد

عضو اللجة الشرعية للوقف الجعفري بدولة الكويت

جاء في الورقة: إن الشريعة الإسلامية تحترم حرية الإنسان في اختيار معتقده فالإسلام لايفرض على الإنسان معتقدًا أو دينًا ما ولكنه في نفس الوقت يفرض عليه الالتزام الشرعي بعد أن يعتقد باختياره المطلق.

إن البدعة مفهوم يعنى بوضع خط يفصل يبين أصول الشريعة والعقيدة وما ليس كذلك وذلك صيانة للدين الالهى من زخرف وأهواء الإنسان الذي يطيع في أغلب الأحوال أهوائه وملذاته الخاصة جدًا، والذي قد تسول إليه نفسه أحيانا إلباسها لبوس الدين ونسبتها إلى البارى عز وجل، ولذلك فقد كان حديث الباري عز وجل حول المبتدعين في الدين وأن أعمالهم لاتقبل منهم لانهم نسبوا إليه سبحانه وتعالى مالم يصدر منه .

علمنا أن البدعة نظام وضع لحماية الدين ولكن من يقوم بهذا العمل وماذا يستخدم بشأنه ؟ وهنا لابد من توضيح أن من يقوم بمثل هذا العمل هم العلماء الربانيون ممن وصل إلى درجة الاجتهاد المطلق في العلوم الشرعية ومن الذين يمتلكون من القدرة العلمية مايؤهلهم لبيان حدود الدين وأسرار التشريع فيكشفون للناس ماهو بدعة في الدين ولا ينشئون رأيًا جديدًا في هذا الأمر فان الدين قد كمل و تمت النعمة.

ولابد هنا من الإشارة إلى أن هذا العالم إن لم يكن عاملا بعلمه مخلصًا لله فإنه يفقد صلاحيته وأهليته لعمل الأمانة الربانية. و لا شك ان هذا النمط من العلماء هم من تعقد عليهم الآمال لبناء أجيال حاضنة للعلم والاجتهاد الديني الذي يتجاوز الأطر المذهبية الضيقة.

* * *

التحديات الراهنة كيف نواجهها

محمد علي نظام زاده

ممثل الولي الفقيه لدى طلبة شرق آسيا - إيران

جاء في الورقة: لو ألقينا نظرة ولو سريعة على ماجرى في أفغانستان والعراق والجزائر والسودان وغيرها من المناطق التي شهدت أحداث عنف مؤسفة لتلمسنا بوضوح الأيادي الاجنبية التي افتعلت ولاتزال تفتعل الاحداث المأساوية، لتلقي بلائمة مايحدث على الإسلام.

لا أريد أبدًا أن أعلّق مظاهر العنف في العالم الإسلامي على شمّاعة الاجانب، بل أريد أن أقول إن هذه المظاهر لها أسباب داخلية وعوامل خارجية.. ولايجوز أن نغفل عن العوامل الخارجية أبدًا، فهي التي سلّطت علينا طالبان وشوهت بهم وجه الإسلام ثم ضربتهم لتحرر المنطقة من التعصّب والتخلّف !! وهي التي دعمت النظام العراقي البائد وغذّته بكل وسائل العدوان ثم أجهزت عليه باسم إنقاذ الشعب العراقي والمنطقة من شرّه.. وهي التي تثير الفتن القبليّة والطائفية والاقليمية لتصوّر المسلمين بأنهم يحتاجون إلى

من يحميهم من هذه النزاعات ويتولّى أمر استتباب الأمن في منطقتهم.

غير أننا نقرّ ونعترف بأن هناك عوامل داخليّة لابدّ أن نعالجها كي نتخلّص من هذه المظاهر المؤلمة المؤسفة المشوّهة لسماحة الإسلام وروحه الحضارية.

ومن أهمّ هذه العوامل التخلّف الحضاري.. فلا تزال الروح البدوية التي أفرزت الخوارج سائدة في كثير من أوساطنا الإسلاميّة، لايزال بعضنا يروّج لإشاعة هذه الروح باسم السلفيّة والوهابية والنصوصيّة ومكافحة البدع.. وأمثالها من اللافتات.

إنّ هذه الحالة من التعصّب والتحجّر لايمكن مواجهتها إلاّ بحركة علميّة عقليّة ثقافية تتطلّع إلى المستقبل وتنظر إلى العالم بأفق رحب واسع يتناسب مع عظمة الأمة الخالدة الشاهدة الوسط على ساحة التاريخ.

* * *

الخطط الاستراتيجية
المطلوبة لمواجهة التحديات

علي بن مبارك
باحث ومفكر اسلامي – تونس

وفيها قال الباحث: يرى بعض النقّاد أنّ ضعف الحركة التقريبية المعاصرة يكمن في عزلتها وابتعادها عن هموم الشارع ومشاغل النّاس، فهي في أحسن الأحوال ندوات تعقد هنا وهناك

أو كتابات يتداولها نخبة من المثقفين دون أن تصل إلى كلّ فئات المسلمين، وهذا الرأي يعكس بطريقة أو بأخرى أزمة تعيشها إستراتيجيات التقريب لأنّها لم تستطع أن تتجاوز "إستراتيجيات المؤسسة" إلى "إستراتيجيات التأسيس" بما هي إستراتيجيات تشمل كلّ عنصر من عناصر المجتمع مهما كان اهتمامه أو اختصاصه أو جنسه أو مكانته الاجتماعية.

وفي هذا الإطار يمكن لنا أن نطرح مجموعة من القضايا الفرعية تتعلّق بثقافة التقريب ونقصد بها تحوّل هاجس التقريب من موضوع حوار يعقد في المؤتمرات والملتقيات أو مقال ينشر في مجلّة أو كتاب إلى ممارسة ثقافية يكتسبها الطفل منذ تكوينه الأوّل وتلازمه في المدرسة والجامعة والعمل ويستحضرها في نشاطه العلمي والإبداعي والاجتماعي، وتتحوّل بموجب ذلك إلى جزء من شخصيته ، وعلى هذا الأساس يصبح احترام المخالف في المذهب والفكر سلوكًا تلقائيًا لا من باب التصنّع والمجاملات كما نلحظه اليوم عند كثير من الناس.

إنّ فضل المؤسسات التقريبية كما هو حال "الإيسيسكو" و"المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية" يكمن أساسًا في تنظيم الندوات وإصدار الكتب والمجلاّت وهذه عمل مفيد ولكنّه لا يكفي، فما فائدة كتاب لا يُقرأ أو ندوة ظلّت حبيسة قاعة الاجتماعات ... إنّنا لا نبالغ إذا قلنا أنّ الباحث في مجال التقريب بين المذاهب الإسلامية في مختلف أرجاء العالم الإسلامي يجد صعوبات كبيرة في الحصول على أدبيات التقريب في تجاربها

المختلفة وربّما كلّفه الحصول على بعضها السفر وبذل الجهد والمال. ولذلك نقترح أن تكون الخطط الإستراتيجية المطلوبة لمواجهة التحديات المتعلّقة بالتقريب خططًا تأسيسية بامتياز تفكّر في جميع الفئات وكلّ المجالات وتنظر في أيسر السبل لإيصال التقريب ثقافةً ورؤية إلى كلّ من يهمّه أمر التقريب .

* * *

الوحدة الإسلامية والابتلاء
بالجمود الفكري والتطرف الديني

عفاف الحكيم
رئيسة جمعية الرابطة اللبنانية الثقافية

عن ظاهرة الجمود والركود الفكري قالت الباحثة :

هذه الظاهرة أو النمط من التفكير المنغلق الذي ابتليت به الأمة كان له انتشاره في الوسطين السني والشيعي، وقد أطلق عليه الشهيد مطهري مصطلح التحجر بمعنى الجمود وإنعدام المرونة والليونة، وهي حالة تشاهد عند الإنسان حين تنعدم له المرونة في الموقف من أي فكرة أو ظاهرة جديدة, وحيث الشخص الموصوف بالتحجر يضع لنفسه أصولاً ثابتة وأطرًا محددة ويفترض أن لا يطرأ عليها أي تغيير, عاملاً على تحويل العادات والتقاليد إلى مقدسات، فهو دائم الدوران في فلك الماضي دون أن يفسح في المجال لولادة حالات الإنتاج الفكري أو العلمي أو الثقافي, بل جعل من نفسه حاجزًا أمام الحيوية والإبداع..

وقد حذر الإمام الخميني (رض) من خطر ظاهرة التحجر هذه بقوله: «وما هو بالضئيل خطر المتحجرين والحمقى المتظاهرين بالقدسية في الحوزات الدينية، فلا يغفلنّ الأعزاء طلبة العلوم الدينية ولا للحظة عن هذه الأفاعي ذات الظاهر الخداع... وعلى حد زعم بعضهم فإن عالم الدين يكون جديرًا بالإحترام والتكريم عندما يكون غارقًا في التعبد المنغلق بشكل كلّي.. وإلا فإن عالم الدين المعني بالسياسة أو المدبر والذكي هو ذو أهداف ومطامع مشبوهة... وكأن تعلّم اللغات الأجنبية يعد كفرًا ودراسة الفلسفة والعرفان تعد معصية وشركًا, وإني على يقين من إنه لو كان قد كتب لهذا التيار الاستمرار لأصبح وضع الحوزات الدينية وعلمائها كوضع كنائس القرون الوسطى».

وقد ذكر الإمام الخميني (رض) مرة إن ابنه السيد مصطفى شرب مرة من ماء في زير خزفي بإحدى المدارس الدينية, فقام بعض أولئك المتحجرين بغسل الزير الخزفي بالماء لتطهيره, وذلك لأن الإمام كان يدرّس الفلسفة.

وهكذا نجد إنه عندما يجعل الدين في مواجهة حركة العلم والحياة فإن الخاسر في هذا الصراع حتمًا سيكون الدين نفسه، باعتبار أن سنن التاريخ أثبتت إنه عندما يتوقف المنتمين للدين عن الحضور الحيوي في أجواء العلم والعطاء فإن الدين سيتجمد في نفوسهم وينكفئ عن حركة الصراع وحركة التطور والإبداع.

فالخوارج - على سبيل المثال - وبالرغم من أنهم ذوو ميول

شديدة نحو الجهاد في سبيل عقائدهم وأفكارهم, وكانوا من المتعبدين والمتنسكين, يمضون الليل في العبادة.. إلا إنهم كانوا جاهلين وحمقى ونتيجة لجهلهم فإنهم لم يكونوا يفهمون الحقائق, بل يفسرونها تفسيرًا سيئًا فأصبحوا من ذوي النظرة الضيقة وقصيرة المدى, ويفكرون بأفقٍ محدود جدًا.. كانوا يرون الإسلام محصورًا في جدران أربعة من أفكارهم ويعتقدون أن جميع من سواهم لا يفهمون البته.. بل هم من أهل جهنم..

هذا النمط من التفكير - كما يؤكد العديد من المفكرين - تسلل ونفذ إلى العالم الإسلامي طوال تاريخه, فعلى الرغم من أن سائر الفرق تعد نفسها مخالفة لهؤلاء إلا أن التفكير السائد عند الخوارج هو السائد أيضًا في أذهان تلك الفرق..

* * *

بلاء التطرف والجمود والتخلف والجهل والتعصب والتكفير والخطط الاستراتيجية المستقبلية

بسام صباغ

باحث ومفكر اسلامي - سوريا

وجاء في دراسة الباحث: لقد ابتليت الأمة الإسلامية بحالات مرضية وأخطرها بلاء التطرف والتعصب والتخلف الفكري , وبلاء التكفير، والاستعلاء عل الآخرين، والتهور والطيش، وإباحة دماء المسلمين المخالفين، واعتبار كل فئة وطائفة أنها الفئة الناجية من النار.

ومن أسباب هذه الأمراض هو اعتبار الماضي مقدسًا ودينًا , إن الكثير من حالات الانقسام والتفرقة سببه النظرة إلى الماضي دون إعمال الفكر لما يصلح منه لحاضرنا و مستقبلنا، فأخذ الماضي ليكون سببًا لفرقة المسلمين إلى اليوم، ونحن نعتقد أن الأنبياء والمرسلين هم المعصومون، وحتى هؤلاء، فقد شوه تاريخهم ورسالاتهم ممنْ بعدَهم، وتطرفوا خاصة بالأديان والطوائف الحالية، كاليهودية والنصرانية والبوذية والصابئة، وغير الأنبياء والمرسلين يؤخذ منهم ويرد .

وإن أغلب موضوع الخلاف بين المسلمين ينحصر في الماضي، وأغلبه هو خلاف سياسي، وكثير من المسلمين جعلوا من اختلاف الماضي واجتهادات رجاله دينًا وعقيدة، حتى أولئك الذين اختلفوا في عصرهم في الاجتهادات الفقهية كان اجتهادهم واختلافهم رحمة للمسلمين، وهو اختلاف في وجهات النظر والرأي، وذلك حسب ما يمليه عليهم علمهم وواقعهم آنئذ، ومن ثم نقلت الخلافات والاجتهادات لأمور العقدية، فكفرنا بعضنا، واتهمنا المخالف ولو كان على صواب بالكفر والشرك والتفسيق والتبديع، ولم نفكر بمآل تلك الأفكار التكفيرية والتفسيقية من تفرقة وشرذمة ومعاداة وخسارة للمسلمين، وأخذتنا عزة الجاهلية بعيدين عن المنطق والعقل والدين، ونسينا قول الله تعالى ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة ١٣٤] , وقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخْرَى﴾ فإذا كان البيان الإلهي لا يسألنا عن أعمالهم فلماذا ننصب أنفسنا مدافعين عن آرائهم أو أعمالهم أو اجتهاداتهم , ونتحارب على ماضٍ ولّى , وتاريخ لن يعود، وأحداث لا علاقة لنا بها، وأمامنا أعداء يكيدون لنا وللإسلام ليلاً ونهارًا، فحوادث الماضي ليست دينًا مقدسًا، فالبشرية تختلف، وقال ربنا : ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ وقال أيضًا سبحانه وتعالى : ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ وجاء في الحديث الشريف : «الخلق عيال الله ، وأحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله»، وفي الحديث : «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»، إن الاختلافات والاجتهادات تقضيها الضرورات العملية وتطورات الحياة، واختلاف المعاني الاجتهادية , فهي طبيعية، وبهذه الاختلافات تتنوع العلوم وتتطور الحياة , وكما قيل : (الاختلاف رحمة) , فالاختلاف العلمي ضروري لتقدم الحياة، ورحمة لتأمين مصالح العباد، ولقد بنيت الحضارة الإسلامية على ثقافة التنوع والاختلاف السعيد، والتسامح وقيم الصلح والإصلاح ، والأخوة الإسلامية والإنسانية. وعندما ذهبت هذه القيم الإسلامية وحل عوضًا عنها بلاء التكفير والتفسيق والتضليل , وبلاء العنف والتعصب والإرهاب , والتناحر الطائفي والمذهبي والعرقي وغيره , تفرقت الأمة الإسلامية وذهبت حضارتها , وعزها ومجدها وكرامتها .

* * *

تحديات الوحدة واستراتيجية مواجهتها
مقاربة لتشخيص موانع الوحدة والتقريب وسبل القضاء عليها

مَحمّد عَبْدُو
باحث في الدراسات الإسلامية - المغرب

في بيان سبل القضاء على موانع التقريب والوحدة ذكر الباحث:

أولا: لا بد من إجراء جدلية بين القومية والخطاب الإسلامي، ونقترح أن تكون هذه القومية تقر الخلاف، وأن ترفض التعالي والتناصر على الباطل، وأن تعتمد الدين قيمة ثمينة. كما يجب أن يكون الخطاب الإسلامي مقرًا بقوانين التاريخ؛ أي التطور التاريخي، وبحقائق تطور الوجود وبالأخوة في الدين، وبجامعة اللغة وبالجامعات الأخرى أو الجوامع كالقربى والجوار، وهذه الحقائق في الواقع ليست مرفوضة من الدين ولا بعيدة عنه لأن الله أمرنا بالاجتهاد.

وسبيل تحقيق ذلك، هو شعور المسلمين قاطبة، شعوبًا، أمة أو دولا؛ بانتماء إلى شيء واحد، وبوحدة المصير، وبالتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وهي دين الله. وهذا معناه أنه لابد من البعد عن كل شيء من شأنه أن يضعف الروح الديني وأن يقتله في النفوس؛ لأن ذلك فيه مسخ لحقائق المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية.

قال سماحة الشيخ لطف الله الصافي: " واجبنا سيما القادة والعلماء، والكتاب والأثرياء، وذوي القدرة... الاعتصام بحبل الله والاتحاد، وأن ندعو المسلمين إلى التحابب والتوادد، لا أن نشتغل بالبحث عن المفاضلة بين الصحابة، والخلافات المذهبية، ونجعل ذلك سببًا للجفوة والبغضاء، ونوقد نارًا أخمدتها الأزمنة والدهور، ونحيي أحقادًا أماتتها الشدائد".

ثانيا: وجوب مواجهة ثقل الماضي الذي ورثناه ورسوباته، ثم ما كان من التدخل الأجنبي في كثير من قضايانا عبر قرون متطاولة، وما ذلك إلا بسبب ضعفنا وانقسام جماعتنا وتشتت كلمتنا وتفرق صفنا.

ثالثا: تأكد الأخذ بمقومات الوحدة الإسلامية بدل التمسك بأسباب الخلاف، وترك أسباب الخلاف والحرص على ما يجمعنا لا على إبراز ما يكون مفرقًا بيننا ومحطمًا لوحدتنا.

قال العلامة محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه أصل الشيعة وأصولها: "إن أول شرط لإعادة صميم الإخاء سد باب المجادلات المذهبية وإغلاقه"؛ لأن الاسترسال في ذلك قد يؤدي إلى ما لا خير فيه.

رابعا: قوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب﴾.

وردت عقب قوله: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين

مبشرين ومنذرين وأنزل الله معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ .

فمن ينظر في التساوق أو الارتباط وبناء الآية الثانية على الأولى – وإن كانت بالانتقال من غرض إلى غرض – يجد وصف الحال، حال الناس قبل أن يأتيهم الرسل، إذ كانوا أمة واحدة باعتبار كونهم خلقوا على فطرة واحدة، وأنهم بعدما جاءتهم الرسل آمن بعضهم وكفر بعض، فكانوا بذلك مختلفين. لكن لما جاء الهدى الإسلامي والدين الإسلامي والوحي القرآني، وبعث الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجمع الناس من حوله، وتم بناء الأمة الإسلامية وتكوينها، كانوا أمة واحدة أيضا. وقد ورد ذكر هذا في كثير من النصوص القرآنية والنبوية الشريفة، وكذلك في مقالات العلماء، فالأمة الإسلامية أمة واحدة، ولكن الذي قصم ظهر الأمة السابقة وكان سببًا في تقسيمها وتوزيعها وتفكيك هذه الوحدة؛ هو نفسه الذي قسم وفكك هذه الوحدة التي كان عليها المسلمون في الصدر الأول.

* * *

تحديات تجابه التقريب

محمد علي التسخيري

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ذكر الباحث فيما ذكر من تحديات:

المصالح الشخصية لبعض الزعماء والحكام قال فيه:

هو امر شهدناه في عصور الظلام الماضية، ونشهده اليوم ايضًا حيث يستغل البعض نفوذه ليثير العامة بل ربما بعض المنتسبين لاهل العلم لتحريك الاحن والنزاعات الطائفية.

يقول احد الكتاب المؤرخين واصفًا بعض حروب الطوائف بتحريك من السلطات الحاكمة:

«وكانت لا تمر سنة دون عنف بين ما وصف بفرق السنة وفرق الشيعة في سائر ارجاء المنطقة العربية الإسلامية فقد تولى الترك بانفسهم عام ٢٤٩هـ عمليات القمع الطائفي ضد الشيعة... وكان اكثر الضحايا من منطقة (الشاكرية) ببغداد وبنتيجتها هوجم السجن المركزي واحرق احد الجسرين الواصلين بين جانبي الكرخ والرصافة».

ويستمر في الحديث عن دور حكومات الطوائف في تحريك الفتن في مصر، وعن الاقتتال الطائفي بعد قيام حركة الزنج في سواد جنوب العراق، وامتداد النزاع إلى المدينة المنورة والى طبرستان، وتواصلت إلى شمال افريقيا وهكذا.

وهناك كتب كثيرة تتحدث عن هذه الظاهرة كمقدمة ابن خلدون وغيرها.

ويكفي ان نذكر بدور النزاع العثماني الصفوي - الذي دام اربعة قرون - في خلق الفتن الطائفية الداخلية واضعاف الامة الإسلامية مما جر بالتالي إلى ان تفقد شوكتها وعزتها امام التحديات.

وهنا نود ان ننقل نصًا للسيد الباز العريني مترجم كتاب الحروب الصليبية للكاتب الغربي أرنست باركر يقول فيه:

«على أن السبب الأكبر في نجاح الصليبيين، لم يرجع فحسب إلى كثرة عددهم، والى ما تلقوه من مساعدات من الدولة البيزنطية، بل يرجع أساسًا إلى تفرق وحدة المسلمين من الناحيتين السياسية والدينية. ففي الوقت الذي انطلقت فيه القوات الصليبية نحو الشرق، اشتد النزاع بين الاخوين دقاق ورضوان من أمراء السلاجقة، من أجل حرص كل منهما على أن ينفرد بحكم سوريا، ونشبت فعلا الحرب بين الاخوين، بينما كان الصليبيون في طريقهم إلى الشام. وما حدث من الاختلاف الديني والسياسي، بين الخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الفاطمية في القاهرة، كان معروفًا عند الصليبيين. وحينما سعى الأمراء السنيون في الشام إلى الاتصال بالخليفة الفاطمي، يطلبون التعاون لوقف تقدم الصليبيين، لم يجدوا استعدادًا عند الخليفة الفاطمي لتحقيق غرضهم.

وإذ تبين أن نجاح الصليبيين يرجع إلى ما ساد العالم الإسلامي من الاختلاف السياسي والديني، سعى الامراء والقادة المسلمون، على أسباب هذه التفرقة، فأعلنوا حركة الجهاد الديني. فاحرزوا من الانتصارات ما أدى إلى توحيد مصر والشام وأعالي الجزيرة، وبذلك تم حصر الصليبيين على الساحل، وتلى ذلك إزالة الخلافة الفاطمية، ودعوة الديار المصرية إلى المذهب السني، فتحققت

بذلك الوحدة الروحية أيضًا وتيسر لصلاح الدين عندئذ أن يقهر الصليبيين، وأن يسترد معظم ما استولوا عليه من الاراضي، وأضحت هذه السياسة، هي القاعدة التي جرى عليها الايوبيون والمماليك حتى انقطع دابر الصليبيين نهائيًا من الشرق سنة ١٢٩١، فضلا عن تجنب البلاد خطر المغول بعد أن حاقت بهم الهزائم المتكررة.

وهذا الكتاب الذي نقلته إلى اللغة العربية، إنما يصور ما صاحب الحركة الصليبية من أغراض استعمارية، ويشرح العوامل المختلفة التي تحكمت في توجيه الحروب الصليبية، ويبين أن العداء بين الغرب والشرق إنما يرجع إلى قرون عديدة، وأن الغرب اتخذ من الأساليب ما حاول بها تحقيق آماله الاستعمارية في الشرق. وما أوردته في الملحق الذي أضفته إلى هذا الكتاب، يشرح يقظة العالم العربي وقتذاك، وإدراكه أنه لن يتم القضاء على القوات المعادية إلا بالاتحاد والصبر على جهاد العدو. غير أنه ينبغي أن نشير أيضًا إلى أن الجهاد الديني الذي نادى به الزعماء والقادة من المسلمين، استجاب له السكان في جميع انحاء الوطن العربي».

ويقول مؤلف الكتاب نفسه: في الفصل الثالث وهو يتحدث عن نزاع المسلمين الذي مهد لنجاح الحملة الصليبية.

«أما حالة آسيا الصغرى وسوريا في سنة ١٠٩٧، فتعتبر في نواح عديدة ملائمة لنجاح الصليبيين. إذ لم يحفل سلاطين السلاجقة الا بالاحتلال العسكري لما فتحوه من الاقليم، فاستقرت حاميات

سلجوقية في بعض المدن، مثل نيقية وانطاكية، واستعدت لمواجهة الصليبيين والاستماتة في مقاومتهم، وتفرق أيضًا في أنحاء البلاد جيوش سلجوقية، أما مرابطة في جهات معينة، أو في حالة انتقال وارتحال، غير أن سكان المدن كانوا دائمًا أعداء للحاميات العسكرية السلجوقية، كما أن مناطق شاسعة لم يكن بها على الاطلاق قوات عسكرية.

..... وفي تلك الاثناء لم يتوان الفاطميون في الافادة من هذه المنازعات. إذ أن انشقاقًا دينيًا كبيرًا، كان يفصل الخليفة الفاطمي في القاهرة وزعيم المذهب الشيعي، عن الخليفة العباسي ببغداد وزعيم المذهب السني. وهذا الاختلاف يجوز مقارنته، بما كان بين الكنيستين اليونانية واللاتينية من نزاع. بل إنه يفوقه بما غلب عليه من طابع الاختلاف السياسي. وكيفما كان الأمر، فان هذا الاختلاف أدى إلى عرقلة حركة المسلمين مثلما أدى ما بين الكسيوس واللاتين من الحسد والحقد، إلى عرقلة حركة الحرب الصليبية. وأدرك الامراء الصليبيون تمام الادراك، الفجوة التي تفصل بين خليفة القاهرة عن الامراء السنيين في سوريا، وسعوا عن طريق مبعوثيهم إلى أن يتصلوا بخليفة القاهرة، أملا في أن يظفروا، بفضل مساعدته، ببيت المقدس، التي حكمها وقتذاك نيابة عن الترك سقمان ابن الامير أرتق. غير أن الخليفة (الفاطمي) رأى أن ينفرد بالعمل لنفسه، واستغل ما وقع بين أمراء سوريا من حروب، وما أثاره زحف الصليبيين من الخوف والرعب،

فاستولى على بيت المقدس (اغسطس سنة ١٠٩٨) على الرغم من أن زعماء الحملة الصليبية لم يحرزوا شيئًا من النجاح في استغلال ما وقع من منازعات بين المسلمين على النحو الذي يبتغونه، فالواقع أن ما أصابوه من النجاح، إنما يرجع إلى حد كبير إلى هذه المنازعات. وما وقع من الفرقة بين أمراء الشام، وما حدث من الانقسام بين العباسيين والفاطميين هيأ للصليبيين الاستيلاء على المدينة المقدسة، وإنشاء مملكة بيت المقدس. على أن مصير المسيحية اللاتينية في الشرق تقرر، حينما نهض بالموصل حوالي سنة ١١٣٠م قوة جديدة، استطاعت أن توحد الشام، وحينما انضمت ايضًا سوريا، بعد اتحادها، إلى مصر، واجتمعتا في يد صلاح الدين».

ويتحدث في الفصل الثالث عشر عن المقترحات التي اقترحها بييرديبوا في رسالته (استعادة الأرض المقدسة) لتعالج فشل الحروب الصليبية فيقول:

«ومن المعروف أن زوال نظام من الانظمة لا يتم الاعتراف به، الا بعد زمن طويل. ولذا تحتم على الناس أن ينصرفوا إلى أن يحاولوا من جديد، أن يثيرو في الحياة الجديدة ما خمد من الجذوات. مثال ذلك أن بيير دبوا fierre Dubois في رسالته المعروفة باسم استعادة الأرض المقدسة De recuperatione Sanctae Terrae التي وجهها إلى أدوارد الأول، ملك انجلترا، في سنة ١٣٠٧، أخذ يحض على عقد مجمع بأوروبا لاقرار السلام، ومنع المنازعات التي ساعدت،

مثلما حدث في سنة ١١٩٢، على فشل الحرب الصليبية التي سبق ذكرها. واقترن بهذا الدفاع العالمي (الجماعي)، الدفاع عن تجربة الكنيسة من أحباسها كما يتم وضع أساس لتمويل الحرب الصليبية القادمة. ومن الاقتراحات، ما عرضها رجال، اشتهروا بشدة معرفتهم بالشرق، وتعتبر في أغراضها عظيمة الأهمية من الناحية العملية، غير أنه لم تكن لها صفة سياسية. فقيام أسطول دولي، يفرض الحصار البحري على مصر، وإجراء تحالف مع المغول، واتحاد الطائفتين الدينيتين الكبيرتين، الداوية والاسبتارية، تلك هي الأسس الثلاثة الكبيرة لهذه المقترحات».

* * *

تربية المجتمع الإسلامي
على ثقافة القوة والمقاومة والعزة

أحمد عبد الرحيم السايح
أستاذ العقيدة والفلسفة في جامعة الأزهر - مصر

وجاء في الدراسة: الأمة الإسلامية في أشد الحاجة إلى استيقاظ كل الخلايا فيها، واحتشاد كل القوى وتوفر كل استعداد، وتجميع كل الطاقات، كي يتم النمو، ويكمل البناء. لأن تحركات الأعداء لا تتوقف، وتكالب الأعداء يزداد شراسة وسعارا..

ولا جرم فإن الحق الأعزل ضائع. ولابد للحق من رجال وقوة. لا

لتذود عن الحق فحسب. بل لتطاول الباطل..

ولكن أي قوة تلك التي يمتدحها الإسلام، ويطالب المسلمين أن يتسلحوا بها؟ إنها ولا شك: ليست القوة الباغية الظالمة، إذ رسالة الإسلام حرب على البغي والظلم والعدوان..

إذن لهي بالتأكيد: القوة الواقفة بالمرصاد لأهل الإلحاد والمادية والفساد والتخريب.

والقوة التي يمتدحها الإسلام: قوة الجسم، وقوة العقل، وقوة الروح، وقوة الخلق، وقوة العزيمة، وقوة الإرادة.

ولقد كان لأجدادنا المسلمين الأوائل فضل التأسيس للحضارة الإنسانية، وفضل شق الطريق للفتوحات الإسلامية في ميادين العلم، والاجتماع، والاقتصاد، والطب، والزراعة والصناعة، وغير ذلك من فنون جاءت ثمرة من ثمرات الجهاد في الإسلام.

وقد عاش المسلمون عصورهم أعزاء أقوياء أغنياء. كل ذلك بفضل عامل الاستعداد والإعداد، الذي لم يكن مجتمع من المجتمعات الإسلامية يخلو من تشجيعه..

وقد كان للمسلمين الأولين تاريخ عظيم، سطروه بدماء الشهداء والمجاهدين ولا تزال صفحات التاريخ الإسلامي لألاءة تزخر بكل أحداث العز. فقد برز في الإسلام رجال تفوقوا حتى أنفسهم، فأظهروا شجاعة أصيلة وشهامة نبيلة، وبطولة فذة، وفدائية نادرة. هؤلاء المسلمون رباهم الإسلام على كتاب الله، فتخلقوا بأخلاقه وتأدبوا بآدابه، وأخذوا أنفسهم بشرائعه وأحكامه، واغترفوا من نبعه الطاهر.